الإمام النورسي

والتعامل الدعوي مع القوميات

(دراسة تاريخية)

الدكتور ليث سعود جاسم

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

كلية معارف الوحي

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في أنه يتناول بداية نقلة فكرية خطيرة في التاريخ الإسلامي قامت باسم التجديد، نقلة أعقبتها تغييرات خطيرة في بنية المجتمع الإسلامي فكرياً وسياسياً واجتماعياً وجغرافياً، وهذه التغييرات هي:

أولاً: تغيير في النظام السياسي من نظام الخلافة الإسلامية والدولة الواحدة إلى الدولة العلمانية والتفتيت الجغرافي السياسي (الجيوبوليتيكي).

ثانياً: تغيير في الإطار الفكري من العالمية الإسلامية إلى الدول الإقليمية والقومية العرقية.

ثالثاً: تغيير في النظام الاجتماعي من النظام الاجتماعي الإسلامي إلى تغييرات في الأخلاق والسلوك على نطاق الفرد والمجتمع متخذة النموذج الغربي مثالا.

ثم أبرز البحث دور الإمام النورسي في هذه المتغيرات المفصلية والذي استحق عليه لقب المجدد، ومنهجه في التعامل

مع الواقع الذي أخذ صوراً عدة، وبحسب المتغيرات ثم فهمه لعملية التجديد على أنها:

ـ إدراك العوامل والتحديات التي تواجه الأمة.

ـ محاولة وضع الحلول لمواجهة كل مرحلة وأطلق عليها مرحلة سعيد القديم وسعيد الجديد التي بدأت سنة 1926.

ووضع لها إطاراً في فلسفة التغيير الذي يشمل:

ـ أهمية التنمية الفكرية الإسلامية في مواجهة التسلل العلماني من خلال العمل المؤسسي ببناء جامعة الزهراء والعمل على إنشاء المدارس التي توازي متطلبات العصر.

ـ وعي المفردات الفكرية الغربية وفحصها واختيار ما يناسب منها وترك ما لا يناسب.

ـ تبني فكرة الجامعة الإسلامية من خلال الاتحاد المحمدي لتحقيق الترابط الإسلامي بين قوميات المجتمع.

ـ خطاب الأمة بخطاب موحدٍ موجه إلى قومياتها المتنوعة ليواجه تحدي التفتيت للدولة الواحدة.

ـ بناء الشخصية الإسلامية بمنهجية تتناسب ومتطلبات التحدي الغربي من خلال البناء الإيماني والعلمي والسلوكي.

وقد استخدم البحث المنهج التاريخي القائم على دراسة

الوثائق وتحليلها والمنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة من خلال مسارها التاريخي وملابساتها. وقد حاول البحث أن يعتمد على المصادر الأصلية وبخاصة كتابات الأستاذ النورسي في رسائله والتي جمعت مؤخراً في أعمال كاملة، مثل: المكتوبات، والشعاعات، والكلمات، والصيقل، والملاحق، وإشارات الإعجاز، وسيرته الذاتية وغير ذلك. وما كتب عنه من مؤلفات وبخاصة ما كتبه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي مترجم أعمال الإمام النورسي إلى العربية والذي قام بجهد مشكور في خدمة تراث الإمام النورسي، وكذلك الأستاذ أورخان محمد علي الباحث و الصحفي في كتابه (سعيد النورسي رجل القدر)، وما نشره الدكتور عثمان علي - الأستاذ في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية ماليزيا سابقا - من وثائق إنجليزية مهمة فيما يتعلق بالأكراد وعلاقتهم بالدولة العثمانية، إضافة إلى الكتب التي رصدت نشأة القوميات بعامة مثل كتاب (اليقظة العربية) لجورج أنطونيوس و(تركيا الفتاة) لرامزور وغيرها من المؤلفات مما سنجده مبثوثاً في هوامش البحث.

ولعل البحث بهذا الجهد المتواضع قد ألقى شعاعاً من الضوء على ظهور القوميات ونشأتها والدوافع وراء ذلك وأثرها في تفتيت الدولة العثمانية ونشوء العلمانية في المجتمع

الإسلامي.

ومن ثمّ الكشف عن دور الأستاذ الإمام سعيد النورسي في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الأمة الإسلامية. وما كان له من دور إحيائي مع غيره من المصلحين والمجددين في تلك الفترة الخطيرة من تاريخ الأمة.

وهذه المرحلة يكتنفها الغموض إلى الآن لقلة الوثائق وبخاصة عصر السلطان عبد الحميد الذي لم يسمح للاطلاع على وثائقه الخاصة إلى الآن.

وقد قسّم البحث إلى مدخل وأربعة مباحث وخاتمة:

فالمدخل: يتضمن خلفية تاريخية مختصرة مع تعريف القومية لغة واصطلاحاً وأثر الحركة القومية الأوربية على نشوء الدعوة القومية في البلاد الإسلامية.

المبحث الأول: يتضمن الكلام عن الدعوة القومية الطورانية وأثرها على الدولة العثمانية.

المبحث الثاني: يتكلم عن القومية العربية، نشوؤها وتطورها.

المبحث الثالث: يتحدث عن القومية الكردية نشأتها ومواقفها.

المبحث الرابع: يتضمن الحديث عن الإمام النورسي وثقافة العصر.

ثم الخاتمة.

لقد عاصر الإمام النورسي مرحلة أفول الدولة العثمانية وشيخوختها وقد لاقت ما لاقت من أعدائها الخارجين من مؤامرات متنوعة لأجل ابتلاعها وتقسيمها وبخاصة من العدو الروسي من الشرق والعدو الأوربي من الغرب وقد عزز ذلك الدعوة التي أطلقها البابا (بيوس الثاني) إلى تحالف أوربي ضد الدولة العثمانية واتفقت هذه الدول على الرغم من خلافات التي بينها على إعلان الحرب المقدسة[1] وبخاصة عندما وجدت أن السلطان عبد الحميد يناور على خلافاتها ويهيئ الأمة لفكرة الجامعة الإسلامية، وقد زاد الضغط الأوربي بشكل منظم،

---

1 باول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة د. محمد شامه، نشر مكتبة وهبة بمصر، (1391هـ – 1971م)، ط1: 106، وانظر د. يوسف على الثقفي، موقف أوربا من الدولة العثمانية مكتبة الملك فهد الوطنية 1417هـ – 1996م ط 1: 51 – 53، وانظر علي حسون، العثمانيون والروس، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م: 29 – 30، وانظر محمود الشاذلي، المسألة الشرقية- دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية نشر مكتبة وهبة – مصر 1409هـ – 1989م ط 2: 131 – 132، وانظر Andrew C. Hess، اختراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس: 52 – 53.

وبرز المصطلح السياسي الجديد (المسألة الشرقية) لتقسيم الدولة العثمانية بين روسيا والدول الأوربية[2].

وتوالت الأحلاف والهجمات الأوربية في جميع الجهات الداخلية والخارجية للدولة العثمانية للقضاء على الدولة العثمانية وقد عبر عن هذا الهدف وزير الخارجية البريطاني بلفور[3] بقوله: "لا شك أن القضاء على الدولة العثمانية قضاءً تاماً هومن أهدافنا التي نريد تحقيقها"[4].

وقد ألف أحد وزراء رومانيا (Djuvara) كتاباً بعنوان: (Cent Projects de Parage de la turquie) مائة مشروع في تقسيم تركيا، وقال فيه "إن أصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الأوروبيون للأتراك ويميلون أبداً من أجلها إلى

---

2 انظر: الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك (1392هـ – 1972م) إشراف الدكتور حسين سعيد: 614، وانظر محمد محمود الروجي، مصر والمسألة الشرقية، الإسكندرية، مصر، 1966م: 131 – 138.

3 ارثر جيمس بلفور (1848م – 1930م) سياسي بريطاني شغل مناصب متعددة منها وزير الخزانة البريطاني، ورئيس الوزراء، ووزير البحرية والخارجية في الحرب العالمية الأولى، وهو صاحب التصريح المشؤوم في إعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر: الموسوعة الثقافية: 227.

4 انظر: أنور الجندي، العروبة والإسلام، نشر دار الاعتصام، القاهرة (1394هـ – 1976م): 430. نقلاً عن خطاب بلفور رئيس البعثة البريطانية إلى الولايات المتحدة في 1917/4/18م. وانظر: باول شمتز، مصدر سابق: 32.

حصرهم في آسيا هي راجعة إلى العداء الشديد الواقع بين النصرانية والإسلام ... وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطنة كما تقدم وصف كل برنامج بعينة مما يناهز مائة مشروع"[5].

وعلى ضوء ذلك تغلغل الأوربيون عن طريق الامتيازات الأجنبية التي صارت ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية باسم حماية الأقليات غير المسلمة أي اليهود والنصارى، وإدارة شؤونهم قانونياً، وتجارياً، ودينياً، وسياسياً[6]، واستتبعها إثارة القوميات والأقليات وبخاصة الأرمن ورافق هذا كله نشاط في دوائر عدة مثل نشر المدارس التبشيرية لتكون طريقاً للتغريب من خلال طلابها وخريجيها

---

5 انظر حاضر العالم الإسلامي، تأليف Lothrop Stoddard نقله للعربية الأستاذ عجاج نويهض مع تعليقات أمير البيان شكيب أرسلان، نشر دار الفكر، بيروت (1391هـ – 1971م)، ط3: 281/3، 323.

6 انظر: محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العلماني، مكتبة صادر، بيروت (1314هـ – 1925م): 292، وانظر: مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني ترجمة كمال خوجة- نشر دار الإسلام 1397هـ- 1977م (بدون مكان) : 12 – 14، وانظر: صموئيل اتينجر (محرراً) ، اليهود في البلدان الإسلامية ترجمة الدكتور جمال الرفاعي مراجعة دكتور رشاد الشامي سلسلة عالم المعرفة 197 - الكويت 1411 هـ – 1990م : 10-12، 47 – 48.

الذين أصبحوا قادة بعد ذلك[7] ويسند ذلك حركة إعلامية مكثفة عن طريق الصحافة بخاصة، والتي كان أغلبها تحت إدارة نصرانية أو يهودية، فضلاً من المتأثرين بأوربا والسائرين في ركابها من شتى الشعوب الإسلامية مثل الترك والعرب والألبان، والكرد وغيرهم، وقد أحصى (الفيكونت فيليب دي طرازي) ذلك في كتابه الهام (تاريخ الصحافة العربية) حيث بلغ عدد الصحف العربية التي ضمها كتابه (3250) صحيفة من سنة (1858م - 1929م) في جميع أنحاء العالم وقد رتب لها فهارس وافية ألحقها بكتابه[8].

وكان هناك عامل آخر ساعد على ضعف الدولة العثمانية ألا وهو التجاوزات الإدارية لبعض الولاة ووقوع بعض

---

7 انظر: نديم هزار، المدارس التنصيرية، نشر مركز البلقان للدراسات والأبحاث العلمية، استانبول (1415هـ – 1994م): 15 – 35. وانظر: جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الأسد، د. إحسان عباس، نشر مؤسسة فرانكلين نيويورك – بيروت (1992م): 164 – 166.

8 انظر الفيكونت فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية، نشر المطبعة الأدبية بيروت، الأجزاء (1 – 3)، 1913، ونشر المطبعة الأمريكانية ببيروت، الجزء الرابع (1914م)، وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ): 4/هـ، و496، 51. وقد ساعد الفيكونت فيليب دي طرازي في عمله الضخم هذا كونه أميناً لداري الكتب والآثار في بيروت، وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وبذل أربعين سنة من عمره في تأليفه (1893 – 1933م).

المظالم التي أعطت الفرصة لدعاة الشعارات البراقة في تهيئة الرأي العام لقبول التغيير باسم الحرية والمساواة والإخاء، والخلافة العربية لا الخلافة الأعجمية ..!!! وكان كل ذلك مقدمة لظهور القومية والعلمانية وبخاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولي جمعية الاتحاد والترقي السلطة تحت ستار الخلفاء الضعاف الذين لم يكونوا يملكون أي قرار ..!! أتبعتها سياسة التتريك التي مارستها جمعية الاتحاد والترقي القومية والتي ألصقت ذلك بالخلافة ظلماً، فأعقبت ذلك ردود أفعال قومية لدى القوميات الأخرى وبخاصة العرب ثم الأكراد والأقليات الأخرى، ووظف ذلك كله ضد الخلافة وعلا نجم القومية.

معنى القومية :

والقومية لغة[9]**:** مشتقة من القوم، والقوم عشيرة الرجل وجماعته. **واصطلاحاً**[10] تعني: "الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين: عنصر موضوعي: ويتمثل في الروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد شعب هذه الأمة

---

9 انظر: ابن منظور، لسان العرب، نشر دار المعارف بمصر.3786

10 انظر: مجدي عبد المجيد الصافوري – سقوط الدولة العثمانية و أثرة على الدعوة الإسلامية – دار الصحوه للنشر مصر 1410 هـ –1990 م ط1 : 210، 211، .214

كالاشتراك في الأصل أو اللغة أو العقيدة. وعنصر معنوي أو شعوري: يتمثل في الحالة النفسية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة"[11].

وقد ظهرت هذه الفكرة في أوربا ولاقت منها ما لاقت من صراع القوميات فشاعت روح الاحتقار الشديد بين مختلف القوميات الغربية بعضها تجاه بعض، وقد كان لليهود والماسونية دور رئيس في ذلك لهدم الطابع المسيحي الغربي ثم إنها أرادت نقل المعركة للعالم الإسلامي ولا يسما وأن الدولة العثمانية كان رعاياها من قوميات مختلفة كالعرب، والترك، والأرمن، والألبان، والأكراد، وغيرهم[12] حتى أصبحت فكرة الدولة القومية كلمة سحرية، وشعاراً للكفاح.

ثم نبذت أوربا القومية وبدأت تجمع شملها في تكتلات سياسية واقتصادية وعسكرية وفي نفس الوقت امتدت الحركة القومية خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين إلى آسيا وأفريقيا، وظهرت أشهر الحركات القومية في الدولة العثمانية مثل: القومية العربية، والقومية الطورانية التركية، وقد قامت هاتين الحركتين بأخطر دور تغييري في تاريخ

---

11 الموسوعة الثقافية، مصدر سابق: 776.

12 انظر: مجدي عبد المجيد الصافوري، مرجع سابق: 210، 211، 214.

الدولة العثمانية في النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وأما القومية الكردية فجاء تأثيرها متأخراً عن القوميتين الأخيرتين[13].

ومن الوسائل التي استخدمها الأوربيون لتفتيت الدولة العثمانية إثارة النعرات القومية واستثارة الأفكار الجاهلية كما وصفها النبي ρ[14]: « دعوها فإنها منتنة. قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: العصبية الجاهلية ».

ونتيجة لهذا فقد استطاع الاستعمار ضرب وحدة المسلمين وتمزيق كيان دولتهم العثمانية عن طريق الأحزاب القومية، فتكونت في الشرق الإسلامي دويلات لكل منها كيان منفصل وحدود سياسية مرسومة وانتقل الولاء لله وشريعته إلى الولاء للأرض والقوم، وهلل الأوربيون لذلك حتى قال قائلهم (إمري ريفر) في كتابه (قضية الإسلام)[15]: "أن الوحدة التي احتفظ القرآن بها قروناً بين الشعوب الإسلامية المختلفة الأصول قد ذهبت وصار الشعب الإسلامي قوميات شتى".

---

13 نفس المرجع: 213، وانظر الموسوعة الثقافية: 776.

14 انظر: جورج أنطوينوس: يقظة العرب: 164 – 168، وانظر مجدي عبد المجيد الصافوري، سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية،: 214 – 216.

15 أنور الجندي، معالم تاريخ الإسلام المعاصر، دار الاصلاح للطبع و الهشر مصر 1401هـ 1981م :235-237.

واستخدموا الصحافة ونشر الكتب وسيلة لترويج الشعور القومي من ذلك إحياء الكتب التاريخية التي تعظم تاريخ الأجداد من عرب، وترك، وهنود، وفرس، وأكراد، وغيرهم[16].

ومن تلك الكتب التي بدأت بترويج الفكر القومي بأنواعه:

- كتاب (تاريخ الترك والمغول من أقدم الأزمنة إلى سنة 1405م): ألفه الكاتب اليهودي (ليون كاهون) ذكر فيه مآثر جنكيز خان وتيمورلنك وساعدت الأكاديمية الفرنسية على نشره عام (1896م) وجعل هذا الكتاب أساساً للقومية الطورانية[17].

---

16 مثل مجلة (الاستقلال العربي) في فرنسا لنجيب عازوري الماروني اللبناني الذي دعا إلى إحلال رابطة الجنسية بدل الدين، وانظر الموسوعة الصحفية العربية، الجزء السادس، المجلد الأول: 433، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس (1420هـ – 1997م)، وصحيفة (مشورة) باللغة التركية لمؤسسها أحمد رضا وهو من قادة الاتحاد والترقي وكانت تدعو للطورانية، وغيرها من الصحف التي أحصاها صاحب تاريخ الصحافة العربية فيليب طرازي 270/2-274.

17 انظر مجدي عبد المجيد الصافوري، المصدر السابق: 218 – 219. وانظر: أنور الجندي، معالم التاريخ الإسلامي المعاصر، : 274.

- كتاب (يقظة الأمة العربية) لجورج أنطونيس: صدر في باريس عام (1905م) باللغة الفرنسية ثم ترجم للعربية، طالب فيه باستقلال الوطن العربي، وإعادة الخلافة إلى شخص عربي قريشي بدل الأتراك العثمانيين، ومؤلف الكتاب كان منتمياً إلى المحفل الماسوني الإيطالي ويدعو إلى أن تكون الخلافة في قريش واستدراجاً للعرب للتلبيس عليهم ودفعهم للتمرد على الدولة العثمانية ...!!![18].

وسنعرض في المباحث القادمة للحديث عن ظهور القوميات وبخاصة القوميات الثلاث المؤثرة بعضها في بعض وهي القومية التركية والعربية والكردية وسنفصل الكلام فيها.

ومن ثم نبين موقف الأستاذ بديع الزمان النورسي في نصحه وإرشاده لأتباع هذه القوميات، وبيان الرؤية الإسلامية النابعة من تصور واع واضح ينطلق من المصدرية الشرعية الكتاب والسنة إضافة إلى العلوم المساعدة الأخرى واستخدامه

---

18 انظر: د. أحمد فهد الشوابكة، الجامعة الإسلامية، مكتبة المنار الاردن عمان 1984م-1404هـ ط1 : 151 – 152، وانظر: مجموعة مؤلفين أعلام الصحافة في الوطن العربي إصدار المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم تونس 1977م المجلد الأول 6/ 434، وانظر: مجدي عبد المجيد الصافوري، المرجع السابق: 225.

الوسائل المتنوعة لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة، ويرطب هذا المنهج المعرفي نسمات الروح التي تفجر كنوز الحقيقة في قلب العالم العارف فتتناغم في سياق منهجي لتقدم حلاً للمشكلة بحسب الرؤية المتحصلة زماناً ومكاناً، وكما سنرى ذلك في البحث، واللّه الموفق.

المبحث الأول:

دعوى القومية الطورانية وأثرها على الدولة العثمانية

جذورها:

لقد كان للسلطان عبد الحميد موفقاً عندما بدأ مشروعه الإحيائي (الجامعة الإسلامية) لمواجهة التحدي الأوربي والذي جعل الدعوة إلى الطورانية هو المشروع المطروح الكفيل باستقطاب الأتراك وتفتيت الدولة العثمانية[19].

وفكرة الطورانية كانت تطلق على مجموعة اللغات الهندية

---

19 انظر:

Nikkie R. Keddie, An Islamic Response to Imperialism, University of California Press, Berkeley, Los Angeles & London, 1983, p. 22, 25, 55-58. وانظر: Hee Soo Lee, Islam Ve Turk Kulturunun, Uzak Doguya Yaylimasi, 1988, p. 185-187.

وانظر: الما ولتن، عبد الحميد ظل الله في الأرض، ترجمة راشد رشيدي، القاهرة (1950): 176 – 178.

الأوربية وبخاصة لغات أواسط آسيا[20]، ويرجع بعض المؤرخين أن سبب المناداة بها هو محاولة ضرب الدولة العثمانية بإحياء القوميات المحلية والإقليمية الضيقة وأما إطار الطورانية الفكري فهو تجديد انتساب الشعب التركي إلى أصوله الطورانية والإيمان بأن سبيل بعث الشعب التركي هو اتحاده بهذه الشعوب التي تمت إلية بصلة القربى، وأن حركة الطورانية هي المنقذ للأتراك من الضياع، وأن يسيروا على هدى جنكيز خان، وتيمورلنك من أجدادهم العظام[21] وقد بدأ بعض الكتاب يصدرون الكتب والمنشورات أمثال (أحمد اغاييف) التتاري عام (1312 - 1789م) كردة فعل للثورة الفرنسية، وانتشرت هذه الفكرة حول حوض نهر (الفولغا) أولاً وإلى تركمان أواسط آسيا ووصلت إلى استانبول بعد ذلك وتبناها حزب الاتحاديون وأصبحت شعارهم.

وكان كثير من دعاة القومية الطورانية من غير الأتراك مثل اليهودي الهنغاري (قمري) يدعون الأتراك إلى توثيق الصلة بأتراك وسط آسيا، لأن الأتراك قد ابتعدوا عن أصولهم مدة طويلة. ثم ابتكر نظرية خطيرة تقول: "أن الإسلام يتناقض

---

20 انظر الموسوعة الثقافية: 643.

21 انظر: مجدي الصافوري المرجع السابق : 215، 217، وانظر: موفق نبي المرجه: صحوة الرجل المريض، دار البيارق، بيروت، 1996، ط8: 200.

مع فكرة الجنس وأنه هو الذي حال دون نشوء حضارة الأتراك"[22].

وتم تشكيل الجمعيات القومية في أماكن متعددة داخل الدولة العثمانية وخارجها وشمل تشكيل الجمعيات قطاع المدني والعسكري وكان الطلبة هم طليعة هذه الجمعيات[23].

وكانت محصلة هذه الجمعيات (جمعية الاتحاد والترقي) والتي كانت[24] تضم في صفوفها المدنيين والعسكريين وجعلت ميدان عملها في سلانيك ولذلك "فإن المحافل الماسونية في تلك المدينة استمرت تعمل دون انقطاع بطريقة سرية طبعاً وضمت إلى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بفكرة خلع السلطان عبد الحميد ... ولذلك استخدمت جمعية (الاتحاد

---

22 انظر شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي: 108 – 119، د. أحمد النعيمي ، اليهود في الدولة العثمانية مؤسسة الرسالة – بيروت 1418 هـ – 1988م ط2 : 162-163 .

23 انظر: M. Sukru Hani Oglu, Osmanli Ittihad, p. 16-26.

24 وانظر: Osmanli Ittihad ve Terkki Cemiyeti ve Jon Turkluk, (1889-1902), Iletisim Yayinlari, Istanbul- 1985, p. 9-16. وانظر د. محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد، نشر دار الفكر نقلاً عن مذكرات إبراهيم تيمو (أحد مؤسسي تركيا الفتاة): 278 – 281، وانظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، دار الوثائق، الكويت (1407هـ – 1986م): 270 – 275.

والترقي) بعض المحافل أو جميعها لتكون محلات للاجتماع"[25].

هذه التسهيلات التي قدمتها الماسونية في سلانيك وأوربا لجمعية الاتحاد والترقي كان لها غاية استراتيجية وهي تمزيق الدولة العثمانية من خلال قطع الروابط الإسلامية بين شعوب هذه الدولة ولذلك روجت فكرة الطورانية كما ذكرنا سابقاً بادعاء أن الجنس المغولي واحد في الأصل ويلزم الشعوب الطورانية أن تعود لأصلها وتمجد قوميتها التركية وكان شعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية[26]، ومع ذلك كله فقد كان السلطان يرصد أعمالهم بدقة وعندما حكمت عليهم لمحكمة العسكرية بالسجن قام السلطان عبد الحميد بالعفو عنهم بل وسمح للطلبة منهم بالعودة إلى إكمال دراستهم، ومع ذلك فإن المصادر العلمانية كانت تتهم السلطان برمي طلاب كلية الطب في بحر مرمرة...!! افتراء عليه[27]،

---

25 ارنست، أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908م، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1960م: 123، 124.

26 انظر شكيب أرسلان (تعليقات)، حاضر العالم الإسلامي: 189/1 وما بعدها، وانظر: د. جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي، نشر دار أم القرى، الأردن (1409هـ – 1989م): 121.

27 انظر: رامزور، تركيا الفتاة: 64، 65، 66، وانظر تعليقات أورخان محمد علي على ذلك السلطان عبد الحميد الثاني: 272 وما بعدها.

ثم تكرر الأمر وعفى عنهم مما جعل رامزور يتحير ويصعب عليه فهم سياسة عبد الحميد في نفي كاظم باشا بدل إعدامه.

ويقول رامزور "وأما كاظم باشا فقد طرد مهاناً وعين حاكما على شقورده في ألبانيا وهو عقاب خفيف على ضابط انكشفت محاولته لخلع سلطانه..!!؟"[28] بل وعينة السلطان بعد ذلك مديراً لمشروع خط الحجاز وهو مشروع سياسي عسكري مع العلم أن كاظم باشا هذا كان مكلفاً بتنفيذ الانقلاب العسكري...![29]

ولكن اتباع جمعية الاتحاد والترقي لم يتوقف نشاطهم بل تسامح السلطان في معاملتهم أطمعهم في استغلال هذه الصفة فيه واستمرت صحفهم تهاجم السلطان وتتخذ شعارات الإصلاح والحرية والإخاء والمساواة لتدغدغ المشاعر ولتؤلب على السلطان، "لذا فقد فقست بيوض الأفاعي تحت جناحي رحمته وكبرت ونمت وانتشرت في كل حجر ثم خرجت إلى الميادين والساحات"[30] كما وصف ذلك نجيب فاضل قيصه

---

28 رامزور، نفس المصدر: 63 – 64، وانظر أورخان محمد علي: المرجع السابق: 277.

29 انظر المصدر السابق: 64، 176، وانظر أورخان محمد علي، المرجع السابق: 276.

30 انظر أورخان محمد علي: 273 نقلاً عن Ulu Hakan Abdul Hamid

كوره ك.

ثم هرب بعض قادة الاتحاد والترقي إلى الخارج وبخاصة باريس التي احتضنتهم منذ بداية تشكيل تركيا الفتاه، ومن باريس أصدرت جريدة (مشورة) و(الميزان) التي استمرت تهاجم السلطان فضلاً عن الرسائل، وكانت الدول الأجنبية تساعدهم في توزيع جرائدهم وإدخالها إلى الدولة العثمانية[31].

وقد قام المحفل الماسوني بمساعدتهم وبخاصة (المشرق الأعظم الفرنسي) الذي قرر إزاحة السلطان عبد الحميد ... "ويمكن القول بكل تأكيد أن الثورة التركية كلها تقريباً من عمل مؤامرات يهودية! ماسونية"[32] ويقول سيتون واطسون في كتابه The Rise of Nationality in the Balkan[33]: "وأن أعضاء تركيا الفتاة ... والثورة التي أنجزوها كانت نتاج عمل مدينة واحدة وهي سلانيك .. إن العقول الحقيقية للحركة

Han.

31 انظر: رامزور، نقلاً عن Paul Fesch: 63، 172، وانظر أورخان محمد علي، المرجع السابق، 278 نقلاً عن مذكرات إبراهيم تيمو، وانظر: محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد: 276، 279.

32 رامزور المصدر السابق : 126، وانظر لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرمسون، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت (1337هـ – 1910م): الكراس السادس: 31 – 42.

33 انظر أورخان محمد علي: المصدر السابق: 285 – 286.

كانت عقولاً يهودية أو يهودية مسلمة وقد جاءت مساعداتها المالية من أغنياء الدونمة أو يهود سلانيك ومن الرأسماليين العالميين (الماسونيين) في فينا وبودابست وبرلين وربما لندن وباريس أيضاً".

وقد كان الإطار الفكري لجمعية الاتحاد والترقي هو الماسونية وهي لا تعترف بالأديان وتنطلق من الفلسفة الوضعية والعلمانية ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد واقترحوا علية باسم الدين"[34].

الثورة والخلع والإلغاء:

ونتيجة للظروف التي مرت بها الدولة العثمانية وما تعانيه من مشاكل داخلية، وخارجية، وسياسية، واقتصادية، وجد

---

34 انظر محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد، نقلاً عن M. Sukru: 283، وانظر رامزور: 119، 123، 126. وانظر الوثيقة المتبادلة بين السفير البريطاني في استانبول (جيرالد لارثر) في 1910/3/29م وبين وزير خارجية بريطانيا (شارل هارودينغ) وقد نشر هذه الرسالة وقدم لها (Elie Kidaurie) أستاذ علم السياسة بجامعة لندن في كتابه الصادر بلندن سنة 1974م ورقم الرسالة في الوثائق الخارجية البريطانية (F.O.800/193A) ترجم الوثيقة الدكتور محمد توفيق حسين إلى العربية ونشرت في مجلة آفاق عربية ببغداد العدد 9، لشهر 3، تحت عنوان "دور الماسونية في خلع السلطان عبد الحميد، انظر أورخان محمد علي، المرجع السابق: 293 – 312.

الأعداء فرصتهم السانحة فقرر (محفل الشرق الأعظم) في عام 1900م بالتعاون مع الدول الأوربية خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وأدرك السلطان عبد الحميد المؤامرة واستمر يناور ويداور لإفشال هذا المخطط بأقل الخسائر، وبمحاولة احتواء (جمعية الاتحاد والترقي) اليد التي أريد لها أن تخلع السلطان.

وكانت إحدى محاولات للسلطان لدرء المخطط التدميري موافقته على الدستور وإحياء البرلمان وذلك في 1908/7/24م ورضخ لمطالب الاتحاد والترقي مع أنه كان قادراً على قمع هذه الثورة وكانت قواته المسلحة مستعدة لذلك ومع ذلك استسلم للقدر ولم يوافق أن يرق قطرة دم حفاظاً على دولة الخلافة[35].

---

35 انظر رامزور المصدر السابق : 126، وانظر د. أحمد النعيمي: اليهود والدولة العثمانية: 211، 212 نقلاً عن Kidourie Elie, Young Turkes, Free Masons and Jew: p. 94، وانظر: مصطفى طوران، أسرار الأنقلاب العثماني، : 57 – 65، وانظر باول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية: 104 – 107، وانظر شيخ الإسلام مصطفى صبري، الاسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، تحقيق ودراسة د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية (1405هـ – 1985م)، ط1: 100، وانظر عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها – مكتبة الانجلو مصرية – القاهرة 1982م ط1 ، 1803/1 – 1806، وانظر: Alma Wiltin, Abdul Hamid The

وقد اضطر الاتحاديون "أن يعلنوا بأن مقصدهم هو تحرير الدولة العثمانية من الاستبداد وإقامة حكومة دستورية تجمع المسلمين في بوتقة واحدة"[36].

وانخدعت الأمة بل وكثير من علمائها ومثقفيها وشعرائها في الداخل والخارج وعاشوا الوهم الذي شاركت في تصويره حقيقة صحف ورجالات وعمائم ثم ذاقت بعد ذلك وبال أمرها ولات حين مندم.

واستمرت جمعية الاتحاد والترقي تحكم الدولة العثمانية باسم السلطان، وترتكب الحماقات السياسية والعسكرية والاجتماعية والأخلاقية وختمت ذلك باجتماع لمجلس الأعيان والمبعوثان وقرروا خلع السلطان في 1909/4/27م واستصدروا فتوى مشبوهة من شيخ الإسلام وانتخبت لجنة من يهودي، وأرمني، وغجري، وألباني وقد حز في نفس السلطان أن يرى اليهودي (قره صو) معهم وأبدى استيائه من

Shadow of God, p. 115، وانظر، الأمير عائشة عثمان أوغلو، والدي عبد الحميد، نقله للعربية صالح سعداوي، دار البشر، عمان (1408هـ – 1988م) ط1: 230 – 235.

36 مجموعة من المؤلفين، العلاقات العربية التركية: 536 – 537، وانظر د. محمد حرب عبد الحميد: مرجع سابق: 194 – 195.

ذلك[37].

ثم نقل وأسرته وبعض حاشيته إلى سلانيك منبع الفتن تجاه دولة الخلافة زيادة في إيذاء السلطان نفسيا. وبقى على ذلك حتى نقل إلى استانبول وكانت وفاته فيها سنة 1918م ورفض مفارقتها وبوفاته ختمت الخلافة حقيقة لأن كل من خلف السلطان عبد الحميد من السلاطين كانوا رموزاً فقط والهيمنة الحقيقية لجمعية الاتحاد والترقي الحاكم الفعلي للدولة العثمانية[38].

وفي 1927/10/20م أعلنت الجمهورية العلمانية وألغيت اللغة العربية وأغلقت المدارس الدينية وغير الأذان إلى التركية ومنع النساء من الحجاب، وأمر الرجال بلبس الملابس

---

37 انظر مصطفى طوران، مرجع سابق، 97 – 98، وانظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلمية العثمانية، تحقيق إحسان حقي نشر دار النفائس، بيروت (1403هـ – 1983م)، ط2: 90 –92، ، وانظر د. محمد حرب عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد دار القلم دمشق 1991 م ط3 : 206 – 208، وانظر أحمد النعيمي، اليهود والدولة العثمانية: 214.

38 انظر الدكتور محمد حرب عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد، نقلاً عن فتحي أوقيار، رجل في ثلاثة عهود، استانبول (1400هـ – 1980م)، ط1: 207 – 209، وانظر تفاصيل ذلك عن الأمير عائشة في كتابها: والدي عبد الحميد: 244 – 286، 346 – 351، وانظر أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد حياته و أحداث عصره دار الوثائق الكويت 1407 هـ – 1986م ط1 : 346 – 352.

الأوربية بدل الملابس العثمانية وطردت أسرة آل عثمان في 1924/3/2م حيث ألغيت الخلافة من قبل مصطفى أتاتورك.

وبدأت رحلة العلمانية التي كشرت عن أنيابها بحملة عملية التتريك، والضغط على الأكراد والعرب القوميين..!! حلفاءهم بالأمس وبدأ الاستبداد الحقيقي الذي انتظره دعاة القومية من دعاة الإصلاح فكان الإصلاح هو الانسلاخ عن الإسلام ليس إلا..!! وبدأت رحلة العذاب للبلاد في ظل دولة الإصلاح والحرية والثورة الأتاتركية.

المبحث الثاني:

القومية العربية نشؤها وتطورها

العرب مادة الإسلام، وقد محض الإسلام ولاءهم من أول يوم لله تعالى وللإسلام لا للجنس، ولا القبلية، ولا الأسرة[39]. تنـزل القرآن يخاطب عم النبي ρ بقوله: {تبت يدا أبي لهب وتب ... السورة}[40] ونفّر القرآن من الركون إلى الأسرة والقبيلة والوطن والمال.

{قل إن كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين}[41].

وحقر رسول الله من يتنادى بالعصبية الجاهلية بقولة « من دعا بدعوى الجاهلية فإنه أهون عند اللّه ... » ثم جعل القرآن التقوى هي الميزان والمعيار للولاء {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}[42]. وكلما شحبت المعاني الإسلامية في التقوى كلما

---

39 انظر محمد ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية : 75.

40 سورة المسد، الآية رقم 1.

41 سورة التوبة، الآية 24.

42 سورة الحجرات، الآية 13.

دهمت الأفكار الباطلة والبدع المرفوضة والأخلاق المرذولة.

وعندما دب الضعف في الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وشاعت الأفكار غير الإسلامية، ونشطت الدعوة إلى القومية بتأثير التآمر الغربي الذي رأى في القومية سلاحاً فعالاً في زلزلة الدولة العثمانية.

نشأة القومية العربية:

والمقصود بالقومية العربية هنا هي "الحركة السياسية التي تدعوإلى تمجيد العرب وإقامة دولة لهم على أساس رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا"[43].

وبدأت قصة القومية العربية في بلاد الشام سنة (1847م) بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أمريكية[44].

---

43 انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض (1409هـ – 1989م)، ط2: 401، والموسوعة الثقافية: 776.

44 وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية (1395هـ – 1985م) ط2، بغداد: 75، وانظر جورج أنطونيوس، يقظة العرب، حركة العرب القومية، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس، نشر دار العلم للملايين، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بيروت – نيويورك (1382هـ – 1962م): 91.

وقد بدأ الترويج للفكرة القومية متزامناً مع دور محمد علي باشا (1832-1848م) الألباني في تشجيع أهل الشام على الثورة على الدولة العثمانية وبدأت في تمجيد العرب ورفّع أبنائهم في اختصاصهم بالوظائف للتشجيع على الثورة ضد الدولة العثمانية .

وقد حشدت الدول الأوربية ومعهم اليهود وسائل متعددة لإحداث التغيير الفكري في بيئة شعوب الدولة العثمانية ومن ثم تفتيت الدولة العثمانية ليسهل بعد ذلك اقتسام تركتها وقيادة العالم. فلم تجد أفضل من إثارة الشعور القومي لكل شعب وبث الكراهية بين شعوب الدولة العثمانية وبالتالي العمل على انفصال تلك الشعوب عن جسم الدولة العثمانية إلى دويلات متفرقة ضعيفة يسهل التعامل معها وبخاصة إذا كانت قيادتها تدور في فلك المخطط المرسوم الذي ناهز مائة محاولة . "وهذه كانت في مدة ستة قرون مساعي المسيحيين ومحاولاتهم لمحو السلطنة العثمانية التي كانت من أعظم الممالك التي عرفها تاريخ البشرية، وإن لم يكن قد تنفذ برنامج واحد من هذه البرامج الكثيرة بحذافيره فما زال تكرار هذه المساعي وتداول هذه الأفكار في كل أوربا خلفاً عن سلف يعمل عملة تدريجياً وينقض من بناء السلطنة التركية التي

انهارت جوانبها"[45].

ومن الوسائل التي استعملوها:

أولاً: الترويج لاستقلال الوطن العربي عن دولة الخلافة العثمانية وإسناد الخلافة إلى شخص عربي قرشي..!! فالأئمة من قريش..!! وروج لذلك نجيب عازوري (ت1916م) النصراني من خلال كتابه (اليقظة العربية في آسيا الصغرى) حيث دعا لإحلال رابطة الجنسية والوطنية بدل رابطة الدين. وقد أسس المحفل الماسوني الإيطالي بمصر[46].

وضرب في نفس الوتر إبراهيم اليازجي وناصف اليازجي. من خلال صحفهم والمثقفون الذين نشروا كثيراً من الكتب التي تمجد العرب وإشاعة أفكار الثورة الفرنسية لإعطاء إطار فكري للحركة الجديدة[47].

ثانياً: المدارس التنصيرية: كان لها دور خطير وقد

---

[45] تعليقات شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي: 324/3.

46 انظر أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية: 108 – 110، وانظر مجدي الصافوري، مرجع سابق: 121، 122.

47 انظر نزيه كباره ، عبد الرحمن الكواكبي مطبعة جروس بروس – طرابلس لبنان 1415هـ – 1994م ط1 : 24 – 25 ومن الشخصيات الأخرى جورج أنطونيوس (ت1942) بطرس البستاني (ت1883م) وكان مترجماً في السفارة الأمريكية مع ابنه سليم البستاني.

انتشرت في أرجاء الدولة العثمانية مستغلة السماحة المطلقة والمغالية[48] باعتراف النصارى أنفسهم، حيث أسست أول مدرسة أوربية تنصيرية في بيروت سنة (1843م) من قبل الأمريكان البروتستانت وأسسوا المدرسة الأمريكية في استانبول وأسست (روبورت كولج) سنة (1863م) وكانت كلتا المدرستين محضناً لرجال القومية وقادتها في بلاد العرب والثانية تخرج منها قادة اللجان البلغارية الذين قادوا التمرد ضد الخلافة العثمانية. ثم كانت هاتين المدرستين محلاً لتفريخ كل الأحزاب القومية العلمانية في المناطق بعد ذلك[49].

و كان أول محضن تأسس للقوميين جمعية بيروت السرية (1875م) ومن أعضائها فارس نمر[50]، ثم تأسست جمعيات مختلفة اتخذت الواجهة الأدبية ستاراً لها، مثل الجمعية العلمية السورية (1868م) ومن أعضائها: ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وبطرس البستاني (1835م) وهم خريجو

48 انظر تعليق شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي: 211/3 – 212.

49 انظر: نديم هزار، المدارس التنصيرية، مركز البلقان للدراسات والأبحاث العلمية، استانبول (1415هـ – 1994م) نقلاً عن د. بيرم كودامان، نظام التعليم في عهد عبد الحميد: 6، 12، وانظر جورج أنطونيوس، يقظة العرب: 97 – 99.

50 جورج أنطونيوس، نفس المصدر: 149، 152.

المدرسة البروتستانتية، وانضم إليهم بعض المسلمين والروس وانضم إليهم المحفل الماسوني في الشام[51].

ومن الجمعيات الأخرى جمعية (جامعة الوطن العربي) مؤسسها نجيب عازوري - وخلال شهر العسل التركي العربي - أسست أول جمعية عربية باسم (الإخاء العربي العثماني) في سبتمبر سنة (1908م) بالقسطنطينية وأسس كذلك جمعية (المنتدى الأدبي) سنة (1909م)[52] وبعد انتهاء شهر العسل مع القوميين الأتراك، كشر القوميون العلمانيون عن أنيابهم فأغلقوا (جمعية الإخاء العربي العثماني) وبدأت الدكتاتورية وهي الخطوة الثانية بعد إسقاط الخليفة لإحداث ردة فعل عربي قومي لتعجيل تفتيت الدولة وتمزيقها، فأسست جمعيتان سريتان هما (الجمعية القحطانية) في سنة (1909م) وجمعية (العربية الفتاة) أسست عام (1911م) في باريس من قِبَل الدارسين هناك وأنشأت في القاهرة سنة (1912م) جمعية (اللامركزية الإدارية العثمانية).

وهكذا بدأ الحصاد المر الذي لبس لبوس الإصلاح ضد الاستبداد وخرج باستبداد مبيت للإجهاز على آخر دولة خلافة

---

51 نفس المصدر: 120.

52 انظر: جورج أنطونيوس: 172، 177، 183 – 190.

إسلامية[53].

ثالثاً: نشر المؤلفات والكتب المروجة للفكر القومي: فمنها ما يحمل الفكر الغربي وبخاصة أفكار الثورة الفرنسية، ومنها ما يتعلق بإحياء التاريخ العربي الجاهلي، وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً قومياً، مثل كتب نجيب عازوري وغيره، ومن أكثر الكتب تأثيراً كان كتاب (طبائع الاستبداد) للكواكبي الذي كان له الأثر الكبير في الترويج للفكر القومي الإسلامي ومن ثم إلى الفكر القومي العلماني فالمبدأ الذي نادى به: أن الوطنية فوق أخلاق الأديان ويرى أن الوحدة الوطنية لا تتم إن جعلت المحاكمة للدين الإسلامي في مجتمع فيه أقليات غير مسلمة ... ولذا كان يقول: "دعونا نقدم حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الآخرة ..." وكان يقول: "التمييز بين الدين والدولة في عصرنا هذا أصبح من أعظم مقتضيات الزمان والمكان...". فضلاً عن مهاجمته للعثمانيين وإنكار فضلهم وكيل التهم لهم وجعلهم مسؤولين عن ضياع الأندلس[54]..!!

---

53 نفس المصدر: 182، 183.

54 انظر نزيه كباره، عبد الرحمن الكواكبي : 24 – 25، وانظر جورج أنطونيوس: 120 – 126، وانظر: وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق وقضية القومية، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (1404هـ – 1984م) ط1: 179 – 182، وانظر جان داية، الإمام الكواكبي، فصل الدين عن الدولة، والذي أثبت من

ومحصلة هذا التخطيط يمكن تقسيم التيار القومي إلى:

أولاً: تيار يسعى أفراده لإقامة خلافة عربية مستقلة تقوم مقام الخلافة العلمانية ويمثل هذا الاتجاه الكواكبي، وشريف مكة، وطالب النقيب نقيب أشراف بغداد[55].

ثانياً: تيار يطالب بالإصلاحات الخاصة بالبلاد العربية ولا يطالب بالانفصال عن الدولة.

ثالثاً: تيار يدعو للاشتراك مع أحرار الأتراك للمطالبة بإصلاحات عامه تشمل الولايات العثمانية وقد مثل هذا التيار بعض السياسيين مثل محمود شوكت (ت1913م) وعزيز علي المصري (ت1959م)[56].

ثم أن الأمور بعد ذلك ساءت بين الطورانيين والجمهوريين وبين والولايات العربية وفقدت تركيا كثيراً من ولاياتها ولم

خلال المقارنة أن كتاب (طبائع الاستبداد) مترجم عن كتابٍ بنفس العنوان لمستشرق إيطالي تابعه الكواكبي في أغلب فصوله، دار سوراقيا للنشر، المملكة المتحدة (1408هـ – 1988م)، ط1: 43، وانظر الكواكبي، أم القرى دار الرائد العربي –بيروت 1402هـ 1982م ط2 : 168 – 171.

55 انظر نزيه كباره، مرجع سابق: 87، وانظر ساطع الحصري، محاضرات في نشوء القومية، دار العلم للملايين، بيروت (1375هـ – 1956م)، ط1: 183 – 197.

56 انظر د. محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد: 278، 282 – 283.

يتبق إلا تركيا بقسميها الأوربي والآسيوي وقيدت بمعاهدات تنازلت فيها عن كثير من ولاياتها. فضلاً عن احتلال أجزاء من الدولة العثمانية من قِبَل الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين وبخاصة مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا. ووعدت حلفائها الذين أعانوها ببعض الغنائم وبخاصة وعد الخلافة العربية للشريف حسين في سنة (1916م) الذي فجر الثورة ضد العثمانيين في 1916/6/10م ولكن إنجلترا الحرباء كما يسميها السلطان عبد الحميد وفرنسا تآمرتا واقتسمتا العراق والشام ومصر بموجب معاهدة سايكس بيكو، وضاعت آمال القوميين فلا خلافة ولا حرية وإنما استعمار وحماية فرنسية بريطانية[57] وثبت قول لورنس "الثورة العربية هي في الحقيقة تقطيع لأوصال الدولة العثمانية"[58].

---

57 انظر محمود الشاذلي، المسألة الشرقية: 274 – 280، وانظر مجدي الصافوري: 227 – 229.

58 امين سعيد، الثورة العربية ومأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي، لبنان (بدون تاريخ): 147.

المبحث الثالث:
القومية الكردية نشأتها ومواقفها

من هم الأكراد؟

الأكراد شعب أصيل ذو شكيمة نسبهم علماء الأنساب إلى العرب وأنهم في نسل عمرو بن عامر خرجوا من الجزيرة وسكنوا الجبال وبعض المؤرخين يرون أن الأكراد من الجنس الهندوأوربي ويرى أكراد إيران بأنهم يرجعون إلى أصول آرية[59].

وهم يتوزعون في المنطقة المحصورة بين إيران

---

59 انظر د. إبراهيم الداقوقي، أكراد الدولة العثمانية وبروز القوميات ودور الأقليات، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية حول الحياة الإدارية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسيكية، تونس (1412هـ – 1992م): 198، وانظر د. جمال رشيد أحمد ود. فوزي رشيد، تاريخ الكرد القديم جامعة صلاح الدين أربيل – العراق 1990م 1411هـ ط1 :7 ، وانظر منذر الموصلي، الحياة السياسية والحزبية في كوردستان شركة رياض الريس للكتب و النشر العراق 1411هـ – 1990 ط1 : 30 ، وانظر: Cavdet Ergul, Abdul Hamidin Dogu Politikasi Ve Hamidiye Alaylari: Izmir, 1997, p. 3-4، وانظر سعد أبو مصطفى، جعل الأمة الإسلامية بواقع الأكراد، مجلة آلاي إسلام، السنة 2، العدد 1، وانظر د. شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية المؤسسة العربية للدراسات و النشر بغداد 1409هـ – 1989م ط2 : 22-25 .

والعراق وتركيا وسوريا وروسيا وقد دخلوا الإسلام مبكراً في زمن سيدنا عمر بن الخطاب سنة (18هـ) على يد الصحابي الجليل عياض بن غنم[60].

وأسهم هذا الشعب الكريم في بناء الحضارة الإسلامية بعد أن تشبع بروح الإسلام وغدا مسلماً عقيدة وجنسية فبرز منه وفيه القادة والعلماء والأدباء والإداريين ...[61].

والأكراد قبائل غلب عليهم العمل في الزراعة وكان لشيخ القبيلة الهيمنة الإدارية وشاعت بينهم الطرق الصوفية، فظهر فيهم التدين الفطري لذلك كان ولاؤهم للدولة العثمانية ولاءً نابعاً من هذا التدين، بل كانوا جيشاً غير نظامي إلى آخر

---

60 انظر د. إبراهيم الداقوقي، نفس المرجع السابق: 194 – 211، انظر زبير بلال إسماعيل، علماء ومدارس في أربيل، مطبعة الزهراء، الموصل، العراق (1404هـ – 1984م): 21 وما بعدها، وانظر د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة التاسعة (1406هـ – 1995م): 15.

61 انظر زبير بلال، المرجع السابق : 27 و ما بعدها ، ومن أشهر العلماء في القديم والحديث الإمام زين الدين العراقي المحدث، ابن الصلاح الشهرزوري، والشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق وغيرهم ومظفر كوكبفوري الأربلي، والخليفة صلاح الدين الأيوبي والشيخ بديع الزمان النورسي، وابن خلكان (ت1283هـ) وغيرهم.

رمق في دولة الخلافة العثمانية[62].

وقد كان للأكراد دور سياسي وعسكري بارز في عموم التاريخ الإسلامي فضلاً عن دورهم العلمي والثقافي، وقد تولى (عماد الدين زنكي) السلطنة وكذلك (صلاح الدين) فكانت الدولة الأيوبية لها بلاؤها الحسن في التاريخ الإسلامي وبخاصة في صد الهجمات الصليبية والتي كانت نهاية الصليبية في الشام على يد صلاح الدين الأيوبي، وانساحت القبائل الكردية المسلمة في العالم الإسلامي مثل مصر والشام واليمن وغيرها واستقر كثير منهم في هذه المناطق، ولا زال الكثير من الذين أصولهم كردية يتلقبون (بالكردي) مع عدم معرفتهم باللغة الكردية[63].

وقد عاش الأكراد في ظل دولة الخلافة العثمانية شريحة مهمة من شرائح المجتمع المسلم يتنقلون في بقاع الدولة

---

62 د. أحمد النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها و مستقبلها دار البشير عمان الأردن 1413هـ 1993م ط1 : 78.

63 انظر د. سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة خلال القرن السادس الهجري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق (1409هـ – 1988م): 65 – 68، 87 وما بعدها. وانظر منذر الموصلي، الحياة السياسية والحزبية في كردستان: 60، وانظر د. يوسف الصغير، الأكراد في عالم الاضطهاد، مجلة البيان، لندن، العدد 134: 51 – 52، ولا زال لقب (الكردي) شائعاً في الأردن ومصر وأرتيريا واليمن.

المسلمة وقد قسمت كردستان إلى أقسام إدارية تسمى (بالسنجق) وثبت على كل سنجق أمير المنطقة الكردي أو تأتي بمن تراه مناسباً[64].

وكان للأكراد دور مهم في خوض الحروب للدفاع عن دار الخلافة فاشتركوا في الحرب الروسية العثمانية (1877م)، ولكن كانت لهم بعض الإشكالات مع الدولة العثمانية وبعض الاحتكاكات المسلحة وهي في حقيقتها لم تكن تمرداً ورفضاً للترك كما حاول بعض المستشرقين تشويه هذه الصورة، وإنما كانت رفضاً لبعض الإجراءات الإدارية والمالية كفرض الضرائب وطلب التجنيد في الجيش، ولم يكن ذلك صراعاً قومياً[65].

---

64 انظر د. إبراهيم الداقوقي: مرجع سابق: 190 – 191، وانظر د. عثمان علي: الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3 (1416هـ 1995م) ماليزيا: 15، وانظر شرف خان بوليس، في تاريخ الدول والإمارات الكردية: 136 – 137، وانظر منذر الموصلي، نفس المصدر: 239.

65 انظر منذر الموصلي، نفس المصدر: 67 – 68، وانظر د. شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية، وانظر تفصيل ذلك في مقالة د. عثمان علي، على تشخيص الحقيقة، بصراع: ألاي إسلام، المرجع أعلاه، وما نسبه البعض إلى أن الشيخ عبيد اللّه النهري ثار ضد الدولة العثمانية فهذا خطأ تاريخي وتأويل قومي متكلف وقد كشفت رسالة القنصل البريطاني (وليم أز آبوت) في تبريز إيران بأن هذه التحركات كانت ضد الإيرانيين وقد قام الإيرانيون بمساعدة الإنجليز بالقضاء

وعندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطة كان الأكراد لهم خصوصيتهم في طريقة الإدارة ووقف الأكراد مع السلطان عبد الحميد في أحرج الأوقات ولم يشعروا بأن الدولة العثمانية دولة معادية في يوم من الأيام وقد شكل منهم كتائب عسكرية سميت بالكتائب الحميدية (Hamidiye Alaylari) وذلك لمواجهة الأرمن الذين كانوا يثيرون القلاقل للدولة العثمانية، وكانت تعتبر (قوات احتياطية) للجيش العثماني، ثم وضعت لها لائحة خاصة تنظم إدارتها وتحدد واجباتها. في مواد محددة عدد (53) مادة وكان ذلك في سنة (1308هـ – 1891م)[66] وطورت في سنة (1313هـ - 1896م) لائحياً

على هذه الثورة ونفي الشيخ عبيد الله النهري إلى الحجاز. انظر الوثيقة رقم 23 سري للغاية، رقم الملف 60/441 من القنصل البريطاني في تبريز إلى وزراء الخارجية البريطانية بتاريخ 1881/10/1م وقد ترجم هذه الوثيقة الدكتور آزاد كرمياني، انظر مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة التاسعة، جمادى الآخرة (1415هـ) نوفمبر (1995م) ماليزيا: 56 – 59.

66 انظر:

Cevdet Ergul, Abdul Hamidin Dogu Politikasi ve Hamidiye Alaylari, Izmir, (1997-1417), p. 59-66.

وانظر السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت (1406هـ 1986م)، ط5: 33، وانظر: Daid McDowall, A Modern History of the Kurds, p. 62، وانظر: الدكتور عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، ماليزيا، العدد 2، 3 (1415هـ – 1996م):

وتشكيلاً لتكون لها القدرة في مواجهة القوات الأرمنية المدعومة من روسيا[67]. وقد رد السلطان على الموظفين الكبار الذين اعترضوا على ارتباط السرايا الحميدية بالباب العالي بقوله "فما الذي يضيرنا إذا قرّبنا الأكراد منا وهم إخواننا في الدين"[68].

الأكراد وظهور الفكر القومي:

وسارت الدول الأوربية على نفس الطريقة التي سارت بها في الأماكن الأخرى في طريقة زرع الفكر القومي وتنميته لإثارة جميع القوميات ضد الدولة العثمانية وذلك عن طريق إرسال الإرساليات التبشيرية وإنشاء المدارس التي تعمل لهذا الهدف والترويج للفكر الغربي باسم الإصلاح وما سمي (بالتنظيمات) بعد ذلك، ومن طرف آخر كان الروس يعملون على إشاعة أن ما يتم من رفض الأكراد المسلح لبعض التنظيمات بأنه صراع قومي وقد ذكرنا خطأ هذا الرأي سابقاً على لسان الشيخ عبد اللّه النهري. ولكن روج لهذه المقولة

.17

67 انظر: Cevdet Ergul, p. 67-77.

68 السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية مؤسسة الرسالة بيروت 1406هـ – 1986 : 33.

وصارت مفردة في الفكر القومي الكردي بعد ذلك[69].

"كما لعبت المؤسسات التبشيرية الإنجليزية والأمريكية والفرنسية دوراً ريادياً في إعداد جيل متغرب من أبناء الأقليات غير المسلمة ... ودوره في نشر الأفكار اللادينية بين العرب"[70].

وامتد هذا النشاط إلى كردستان حيث "زار المنطقة في الفترة ما بين (1830م - 1914م) حوالي (43) باحثاً إنجليزياً، وفرنسياً، وروسياً، وقام الأمريكان بفتح (450) مدرسة في منطقة هيكاري الكردية في تركية، ومنطقة ولاية الموصل في كردستان العراق لتربية جيل من الكرد والأشوريين على الأفكار الغربية"[71].

---

69 انظر د. عثمان علي، نفس المرجع: 16 نقلاً عن: Wadi Jwaidda, The Kurdish Nationalist Movement, Syracuse, 1967, p. 95، انظر د. عثمان علي، نفس المرجع والصفحة نقلاً عن خالقين ن. خه بات له رتى كوردستان، الترجمة الكردية من الروسية، 1971م، ونقلاً عن كمال مظهر، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، دكتور كامرس قفتان، جه ندلينه وه يه ك له ميزوى، بابان، سورات، بوتان، بغداد 1982.

70 انظر: د. عثمان علي، نفس المرجع السابق، نقلاً عن C.J. Edmond, The Kurdish, London, 1968,.

71 انظر د. عثمان علي، نفس المرجع السابق والصفحة، نقلاً عن:

Kamran Badr Khan, The Kurdish Problem, Royal Central Asian

وثمرة لهذه الجهود الاستشراقية التنصيرية التي عززت بدراسات وكتب في مختلف مجالات الحياة في كردستان تبلورت الأفكار القومية في كردستان، ورافق ذلك ظهور بعض الرموز الكردية القومية والذي انتمى بعضهم إلى جمعية الاتحاد والترقي[72].

ومن الذين استجابوا للتأثيرات الفكرية الغربية مقداد بدر خان الذي أصدر جريدة (كردستان) في القاهرة سنة (1898م) وكانت تطبع في دارا لهلال الذي يديره (جرجي زيدان) وكان لها نشاطاً محموماً في نشر الأفكار الغربية وتدعو الأكراد إلى تعلم العلوم الغربية في التأريخ والفن والأدب والعلوم الطبيعية، وروجت بين الكرد فكرة ضرورة دراسة تاريخهم والبحث عن هويتهم القومية قبل الإسلام وكانت الجريدة مدعومة من الإنجليز مادياً وموضوعياً. ومن الغرائب أن الأرمن العدو اللدود للأكراد كانوا يقومون بتوزيع المجلة بين أكراد العراق وتركيا[73].

Studies, 36, 1949, p. 250.

72 انظر د. عثمان علي، نفس المرجع السابق: 17، وانظر Wadi Jwaidda, p. 298.

73 انظر د. عثمان علي، نفس المرجع السابق: 16 نقلاً عن Kamran Badr Khan, The Kurdish Problem, p. 250، وانظر رامزور، تركيا الفتاة:

ولقد تأخر ظهور الفكر القومي بين الأكراد بالمقارنة بين العرب والأتراك إلى ما بعد انقلاب القوميين الأتراك على السلطان عبد الحميد وهذا يعود إلى طبيعة سياسة السلطان عبد الحميد تجاه الكرد طوال القرن التاسع عشر لأن الأكراد كانوا الدرع الحديدي في مواجهة أطماع الروس للوصول إلى المياه الدافئة في الخليج وكانوا القبضة الفولاذية التي ضربت عملاء روسيا من الأرمن وكان (للكتائب الحميدية الكردية) الدور الفعال في ذلك كله ويضاف إلى ذلك أن السلطان عبد الحميد كان يقوم بعمل فكري مواز لعمل الحركات القومية ولذلك قام بفتح كلية خاصة لأبناء الشيوخ لتدريس العلوم الإسلامية والعسكرية مما أكسبت هذه السياسة رضا الشعب الكردي المسلم وقياداته القبلية والدينية والشباب المسلم المتعلم وكانت هذه ضمن سياسات الجامعة الإسلامية لمواجهة الغرب[74].

وبعد أن زال الوهم الذي بنى عليه القوميون آمالهم بعد

.91

74 انظر د. عثمان علي، نفس المرجع السابق: 16، 17، نقلاً عن سيامند عثمان، ملاحظات تاريخية حول نشأة الفكر القومي، دراسات كردية، D.I.I، 1414هـ – 1984م، وانظر جليلي، نهضة الأكراد الثقافية، بيروت (1406هـ – 1986م): .82

إسقاطهم للسلطان عبد الحميد فبدل أن يجدوا الحرية والديمقراطية التي تعاهد عليها قوميو الترك والعرب والأكراد والأرمن واليهود فإذا بهم أمام سراب فاجأهم به الأتراك الاتحاديون وبدأت مرحلة الاضطهاد القومي فأغلقت الجمعيات والمنظمات الكردية، وزجت القيادات القومية الكردية في السجون، فكان لهذا الفعل ردة فعل أدت إلى نمو الحركة القومية الكردية فقد انتهى شهر العسل القومي مبكراً أي بعد خلع السلطان بسنة واحدة وتلك لعنة القومية التي حلّت بأصحابها واتجه الأكراد إلى تشكيل الجمعيات السرية وبدل أن يدعُ قادة القومية إلى الرجوع إلى الإسلام تنادوا بالتخلي عن الإسلام والعودة إلى الجاهلية الكردية التاريخية انتماءً وإلى الأوربية شخصية ودعوا إلى كتابة اللغة الكردية بالحروف اللاتينية.

وهكذا فعل الأتراك القوميون وتداعى بعض العرب لذلك ولم تنجح هذه الدعوى بين العرب والأكراد للأصالة الإسلامية الضاربة في أعماق الشعبين[75].

---

75 انظر د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية: 17، 18 – 20، نقلاً عن زنار سلوبي، في سبيل كردستان، بيروت (1407هـ – 1987م): 25، 63، 141، وكمال مظهر، مرجع سابق: 98 – 115، وكردة فعل للتيار القومي التركي أنشأ الأكراد جميعات مثل (كرد تعاون وترقي جمعيتي) و(كورد

حقيقة الانتفاضات والثورات الكردية قبل خلع السلطان وبعده:

شهد القرن التاسع عشر ظهور عدة انتفاضات كردية قادتها شخصيات كردية معروفة منهم العلماء ومنهم شيوخ القبائل ومنهم العلمانيون المتغربون[76].

ومن أشهر هذه الانتفاضات:

1 - انتفاضة ميركور الراوندوزي في كردستان العراق في (1833م).

2 - انتفاضة الأمير بدر خان في كردستان العراق سنة (1843م).

تشكيلات ومعارف جمعيتي) وشكلت منظمة طلابية سرية باسم (هيوا) أي الأمل، وتمايز من خلال هذه الجمعيات صفان الأول يقوده الشيخ عبد القادر الشمزيني نجل الشيخ عبد الله النهري ومنهم الشيخ سعيد النورسي الذي كان يرفض الأفكار العلمانية التغريبية لبعض الأكراد القوميين، والصف الثاني العلماني القومي الذي كان يقوده بدر خان أمين وعبد الله جودت وأنشأوا لهم جمعية جديدة اسمها (الرابطة الاجتماعية) بالاتفاق مع الأرمن!!، انظر د. عثمان علي، نفس المرجع: 19، وأصدرت صحف ومجلات مثل (روزي كورد) بمعنى نهار الكرد.

76 انظر د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة التاسعة، (1416هـ – 1995م): 15، 17، 20، 56.

3 - انتفاضة الشيخ عبد اللّه النهري في كردستان تركيا عام (1882م).

4 - انتفاضة ملا سعيد البرزنجي في السليمانية بكردستان العراق.

5 - وانتفاضة ملا سليم في كردستان تركيا.

6 - وانتفاضة إبراهيم ملني في كردستان سورية وتركيا.

7 - انتفاضة ضد عبد الرزاق بدرخان رئيس (الجمعية الكردية الثقافية) العلمانية التوجه في كردستان تركيا.

8 - ثورة قوج كري في كردستان تركية سنة (1920م) للمطالبة بتطبيق معاهدة سيفر التي تنص على إقامة حكم ذاتي في تركيا.

9 - انتفاضة إسماعيل آغا (سمكو) في كردستان إيران (1921م).

10 - ثورة جمعية (خويبون) العلمانية التي ضمت الأكراد والأرمن ضد الحكم التركي الكمالي لتحرير كردستان سنة (1930) وبتأييد من الدول الأوربية.

من خلال هذا التسلسل التاريخي نستطيع رصد طبيعة الثورات والانتفاضات التي تمت في القرن التاسع عشر

والعشرين والتي حاول مؤرخو الحركة القومية الكردية والمستشرقون في دراساتهم للانتفاضات فالمستشرقون وبخاصة الروس منهم فإنهم يصورونها على أنها صراع قومي بين الأكراد والأتراك، وأما القوميون الأكراد فإنهم يصورونها بأنها من ثمرة تخطيط الحركة القومية العلمانية[77].

ولكن تفصيل ذلك لا يميز إلا من خلال دراسة كل حركة أو انتفاضة على حدة حيث أن الوثائق التي ظهرت في السنين الأخيرة صححت كثير من التصورات بل وكشفت كثير من التزييف للتاريخ الإسلامي الكردي. ولعل في دراسات الدكتور (عثمان علي) قيمة تاريخية مهمة في كشف كثير من هذه الأحداث وإعادة تفسيرها[78] تفسيراً موضوعياً قائماً على دراسات وثائقية وبمنهجية علمية محايدة لعلها تشجع باحثين آخرين يحذون حذوه لكشف الحقائق الناصعة ليتبين ضخامة الكيد الذي مزق جسم الأمة الإسلامية وليس الدولة العثمانية فحسب ولا زلنا نعاني منه في تاريخنا المعاصر.

وإذا دققنا النظر في طبيعة الانتفاضات التي أوردناها

---

77 انظر نفس المرجع أعلاه: 15، وانظر د. عثمان علي، إشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد، مجلة آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11، (1418هـ – 1997م): 10.

78 انظر د. عثمان علي، حركة الشيخ سعيد ثورة شريعة أم دولة كردية، مرجع سابق: 10.

على سبيل التمثيل وليس على الحصر ولم نتوسع لأن ذلك خارج عن حدود موضوع البحث فنقول:

أولاً: إن انتفاضة ميركور الراوندوزي (1883م) وانتفاضة الأمير بدر خان في كردستان العراق سنة (1843م) كانتا قبل نشوء حركة القومية الكردية وإنما كانت عبارة عن احتكاكات عشائرية ضد إجراءات إدارية خاطئة كان يقوم بها بعض الولاة أو الجباة الرسميين. ويفسر لنا ذلك سياسة عبد الحميد التي استوعبت مطالب القبائل الكردية الذي وضع لهم نظاماً إدارياً خاصاً، فضلاً عن التنظيم العسكري (الكتائب الحميدية)[79].

ثانياً: أما انتفاضة الشيخ عبد اللّه النهري (1882م) فكانت زمن السلطان عبد الحميد وهي في الحقيقة التي كشفتها الوثائق لم تكن ضد دولة الخلافة ولم تعبر عن مكنون قومي شوفيني وإنما كانت انتفاضة ضد العشائر الإيرانية التي كانت تعتدي على أراضينا ونفى الشيخ النهري أن تكون ثورته لإقامة حكومة في كردستان يكون هو على رأسها[80] بل قال:

---

79 انظر دكتور عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، الحلقة الثانية: 15.

80 انظر دكتور عثمان علي، اللقاء تاريخي فريد مع الشيخ عبيد اللّه النهري، وثيقة مترجمة من القنصل الإنجليزي في تبريز بإيران إلى وزارة الخارجية بلندن في

"بأنه ليس هناك من يشك في ولائه للسلطان"[81].

ثالثاً: وأما الانتفاضات الثلاث ملا سعيد البرزنجي في العراق وملا سليم في تركيا، وإبراهيم ملي في سوريا والانتفاضة الشعبية ضد رئيس الجمعية الكردية الثقافية العلماني كلها تعبر عن رفض للعلمانية وكلها كان بعد خلع السلطان عبد الحميد ومجيء جمعية الاتحاد والترقي للحكم وهي تظهر الروح الإسلامية والولاء للسلطان عبد الحميد[82].

رابعاً: وأما ثورة (قوجكيري 1920م) في كردستان تركيا فكانت بعد تمكن الحركة الكمالية ومطالبتها بالحكم الذاتي للأكراد الذي ضمنته لهم معاهدة (سيفر) واستمرت هذه الثورة (1923م) مما اضطر مصطفى كمال للاعتراف بالحكم الذاتي في مؤتمر صحفي في مدينة أزمير غير أنه لم يف بذلك وبقيت الوثيقة طي الكتمان حتى كشفتها مجلة (نحو عام

1881/10/1م رقم الوثيقة (23) سري للغاية، وزارة الخارجية رقم الملف (60/442)، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة 9، 56 – 59.

81 انظر نفس المصدر أعلاه: 57.

82 انظر نفس المصدر أعلاه، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، حلقة 2: 17، نقلاً عن وادي جويدة:

The Kurdish Nationalist Movement, Syracuse, 1967, Papulation: 95-7.

2000) في عددها (42) الصادر بتاريخ 1988/11/26م[83].

خامساً: وأما انتفاضة إسماعيل آغا الملقب (بسمكو) في كردستان إيران سنة (1921م) فكانت ضد الحكومة الإيرانية[84] "لأنها كانت تمارس الظلم والعدوان على الكرد" ويستطرد سمكو فيقول: "والآن أنا أبذل قصارى جهدي لتحريرهم من السيطرة الإيرانية"[85] واستمر بعلاقاته الحسنة مع حكومة الاتحاديين لأن الحكم الحقيقي لهم والسلطان كان رمزاً لا أثر له. ولأن الاتحاديين كانوا يزودونه بالسلاح ضد الإيرانيين ومع ذلك فالأكراد كانوا يحترمون السلطان أكثر من الاتحاديين[86].

---

83 انظر دكتور إبراهيم الداقوقي، أكراد الدولة العثمانية، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية حول الحياة الإدارية وبروز القوميات، مراجعة وتقديم د. عبد الجليل التميمي، تونس (1412هـ – 1992م)، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموروسيكية والتوثيق والمعلومات، زعفران –تونس: 164، وانظر د. عثمان علي، حركة الشيخ سعيد ثورة شرعية أم دولة كردية، آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11، 1418هـ – 1997م: 12.

84 انظر د. عثمان علي، مصطفى باشا يا ملكي في لقاء تاريخي مع سمكو ، وثيقة، رسالة من مصطفى باشا إلى ابنه عبد العزيز بيك بتاريخ 1921/12/12م، ورقم الوثيقة: 5371/7781، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، السنة 10: 44 – 51.

85 انظر نفس المرجع: 45.

86 انظر نفس المرجع والصفحة.

سادساً: ثورة الشيخ سعيد بيران وهي من أهم الثورات لأنها جاءت في الوقت الذي قام كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة نهائياً في 1924/3/4م ثم أن الشائع عنها بأنها ثورة قومية للحركة الكردية، ولكن الوثائق التي ظهرت في السنين الأخيرة أثبتت إسلاميتها وقيامها لأجل إعادة الخلافة وحكم الشريعة[87].

وتأتي أهمية هذه الحركة كذلك لاتصالها بالإمام الشيخ بديع الزمان النورسي، ورؤيته المخالفة للثورة وسبب الخطأ التاريخي في تقييم هويتها:

أن القوميين نسبوها إلى حركة (آزادي) و(جمعية تعالي وترقي كردستان) ونحا بعض المستشرقين إلى هذا التفسير كذلك. إضافة إلى ذلك فإن الحكومة التركية لغاية (1977م) كانت تعتبر وثائق حركة الشيخ سعيد بيران وثائق سرية ولكن في الثمانينات والتسعينات ظهرت دراسات ووثائق جديدة[88].

ولعل دراسة الدكتور (عثمان علي) تعتبر من الدراسات الجديدة في هذا الباب وقد كشف الاختلاط في وصف الحركة

---

87 انظر دكتور عثمان علي، حركة الشيخ سعيد، آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11: 10 – 13.

88 انظر دكتور عثمان علي، إشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد بيران، مجلة آلاي إسلام، العدد 4، السنة 11: 23 – 27، وانظر دكتور عثمان علي، حركة الشيخ سعيد، مصدر سابق: 10.

بارتباطها بحركة (آزادي)[89].

وكشفت الوثائق أنه لا علاقة تنظيمية بين الشيخ سعيد بيران وحركة آزادي وإنما قائد حركة آزادي (خالد بيك جيواني) كان أحد قادة الألوية الحميدية وكان من دعاة الجامعة الإسلامية ومن أقرب المقربين إلى السلطان عبد الحميد، وكان عديلاً للشيخ سعيد بيران، ولكن عندما طلب الشيخ سعيد للمثول أمام المحكمة أثناء محاكمة خالد جيواني ورفاقه تبين من أن النظام الكمالي سوف يقوم باتهامه ومحاكمته وأن مسألة اعتقاله أصبحت وشيكة، لذلك قرر المواجهة وإعلان الانتفاضة بعد أن عبأ لها شيوخ القبائل الكردية وأرسل برسائله ورسله إلى الشخصيات المسلمة الكردية المعروفة[90].

وقد اضطر الشيخ للمواجهة المبكرة قبل الإعداد المطلوب وانتخب رئيساً (لآزادي) بعد اعتقال قادتها وتم تحديد 1925/3/21م موعداً ليوم الانتفاضة ولكنها قدمت (15) يوماً قبل موعدها مما أدى إلى حصول بعض الأخطاء

89 انظر آزاد كرمياني، محاكمة الشيخ سعيد بيران، أمام محكمة الاستقلال، مجلة آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11، 1418هـ – 1997م): 14-17، 27.

90 انظر دكتور عثمان علي، الإشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد، مجلة آلاي إسلام، العدد 4، السنة 11، (1418هـ – 1998م): 25.

منها اعتقال بعض القادة من أعضاء آزادي السابقين[91].

وخاضت الطريقة النقشبندية بقيادة سعيد بيران الثورة ضد الحكم الكمالي وكان خطاب الثورة خطاباً إسلامياً وقد نشرت وثيقة لجلسة سرية لمجلس أركان الحرب التركي أقرّ فيها دراسة الحركة من خلال الوثائق وشهادات الشهود بأن ثورة الشيخ سعيد كانت ثورة إسلامية تريد إعادة الخلافة والشريعة وعُمّم ذلك القرار المرقم (1845) على جميع الإدارات الحكومية المعنية[92].

وحاولت الحكومة تشويه الحركة ووصمها بأنها قومية من خلال محاكمة قادة الحركة القومية مع الشيخ سعيد ورفاقه، وكذلك لإثارة القوميين الأتراك وعزل الثورة عن المسلمين الترك. إضافة إلى اتهامها بالعلاقة بالجهات الأجنبية ويقصد بهم الإنجليز. ولكن رد الشيخ سعيد هو "يشهد اللّه أن الثورة لم

---

91 نفس المرجع : 25.

92 انظر الدكتور أحمد النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، : 78، وانظر Andrew Mango, Turkey, Thames and Huom, 11d, London, 1968, p. 53، وانظر مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، ألمانيا الغربية (1404هـ – 1984م)، وقال إن الشيخ سعيد بيران أعلن حركته باسم اللّه واتخذ له راية خضراء هي راية النبي ρكما حمل شعاراً لتحيا الخلافة ولتسقط الجمهورية وكان يتلقب بخادم المجاهدين. وانظر الدكتور عثمان علي، الإشكالية في الانتفاضة: 26.

تكن من صنع السياسيين الكرد - يعني القوميين- ولا من تدخل الأجانب"[93].

وعندما سئل: هل تريد أن تصبح خليفة؟

أجاب: إن وجود الخليفة ضمانة أساسية لتطبيق قواعد الدين وإن المسألة مطلوبة شرعاً.

وسئل: هل كان إعلانكم للعصيان يعني أنكم وصلتم إلى قناعة تامة بأن الشريعة غير مطبقة في البلد؟

أجاب: إن الكتاب - القرآن - يؤكد على الخروج على الحاكم في الظروف التي أشرنا إليها أعلاه، وتطبيق الشريعة يعني منع القتل والزنا والمسكرات ... الخ وبحمد اللّه كلنا مسلمون ولا يجب التمييز بين الكرد والترك وحسب اعتقادنا أن هذه الأمور حالياً متروكة أننا انطلقنا من هذه القناعة وعلى أساس القرآن الكريم[94].

بهذه الإجابات الشافية والقلب الثابت بين الشيخ سعيد أن ما قام به هو اجتهاد أدى إلى اتخاذ هذا الموقف ودواعيه إلغاء الخلافة وهي واجبة، وإيقاف العمل بالشريعة وهي واجبة أيضاً هذا

---

93 انظر د. عثمان علي، الإشكالية في الانتفاضة: 27.

94 المرجع السابق: 28.

اعتقاده، وهو ما تدل عليه المصادر الشرعية.

ولكن عملية تنفيذ التغيير، وهل كان ذلك مناسباً للظروف؟ ومكافئاً للقوى المحيطة؟ فهذا أمر آخر، وأما الذي أقر به الشيخ سعيد هو: "لم يكن في نيتي التمرد في البداية وإنني وقعت تحت وطأة ظروف غلبتني"[95].

فرحم اللّه الشيخ سعيد ورحم الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل اللّه غيرة وحمية لهذا الدين.

سابعاً: وأما النموذج الأخير فهو النموذج الذي صار محصلة القوى القومية الكردية التي رفعت راية الإصلاح يداً بيد مع القوميين الأتراك والقوميين العرب ومعهم بعض الواهمين ممن وقع تحت تأثير شعاراتهم في محاربة الاستبداد والمطالبة بالحرية والعدالة[96].

فقد آل أمر القوميين الأكراد الذي شربوا العلمانية والأفكار الغربية وأصبحوا يروجون لنظرية التطور لداروين للمروق من الإسلام وحتى قال أحد قادتهم وهو جليل جليلي: "إن الحروف العربية سبب تخلف الكرد لأنها أحد الأسباب الرئيسية لعزلة الشعب الكردي عن الحضارة الأوربية وعلمها

---

95 انظر د. آزاد كرمياني، محاكمة الشيخ سعيد بيران، مرجع سابق، 14.

96 انظر د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، الحلقة الثانية: 20.

وعن الأفكار التقدمية"[97].

بل أوحت فرنسا إلى الأرمن لاحتواء القوميين الأكراد لتأسيس جمعية قومية كردية تسعى لتحرير كردستان من الحكم التركي..!! وسميت الجمعية بـ(خويبون) وكانت تخضع في تمويلها للأرمن والفرنسيين وذلك لتتحول اليد التي كانت الدولة العثمانية تؤدب بها المستعمرين وأتباعهم الأرمن إلى يد تضرب الترك لتنتقم للأرمن من رفاق الطريق القوميين الأتراك والانسلاخ عن الإسلام بدل الرجوع إليه بعد بطلان فكرتهم وفشل حركتهم..!!؟[98]

---

97 انظر نفس المرجع: 18 نقلاً عن نهضة الأكراد الثقافية: 119.

98 انظر: نفس المرجع السابق: 20.

المبحث الرابع:

النورسي وثقافة العصر

الإمام النورسي جوهرة منشورية تنعكس فيها ألوان الطيف كلها في تناسق وانسجام وكذلك كانت حياته، فهو الطالب الذكي الوقاد الحافظة، ثم سعيد المشهور بعلمه في وسط أهله وذويه من أهل الأناضول ثم نال لقب بديع الزمان بعد أن أضاف إلى علمه الأصيل علوم العصر بأنواعها فأخذ من كل فن قسطاً وأتقنه فصار مدركاً لمسار الثقافة في عصر لا سيما وأنه قد درس العلوم المعاصرة من مصادرها الغربية في الرياضيات والفلسفة والجيولوجيا والجغرافية والتاريخ والفيزياء .. حتى صار أعجوبة زمانه[99].

إدراكه للخطر الثقافي:

ومع شغفه العلمي لم يتحول هذا الشغف والحب إلى ترف فكري وشهوة ذاتية وإنما كان علمه للعمل وكانت الفترة التي

---

99 د. أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، مرجع سابق: 57.

يعيشها فترة صراع فكري بين غرب فتي تقني يتطلع إلى قيادة البشرية بعد أن أخذها المسلمون من الدولة القيصرية والكسروية وقادوا العالم برسالة الإسلام.

ولكن القانون المستمر بين الحق والباطل {ولا يزالون يقاتلونكم ليردوكم عن دينكم إن استطاعوا ... الآية}[100].

وقانون التدافع سنة كونية لضبط حركة الصراع {ولولا دفع اللّه الناس بعضهم لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم اللّه ... الآية}[101].

لذلك بدأ الغرب يخطط لأخذ قيادة البشرية مرة أخرى لتكون في يده. وكان الإمام النورسي حاضر القلب والذهن لهذه المخططات وقد زادها توقداً عندما قرأ تصريح وليم غلادستون (ت1898م)[102] - وزير المستعمرات البريطاني في ذلك الوقت ورئيس الوزراء بعد ذلك - أمام مجلس النواب البريطاني وهو يحمل المصحف بيده فيقول: "ما دام هذا القرآن موجوداً في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم فإما

---

100 سورة البقرة، رقم الآية 217.

101 سورة الحج، رقم الآية 40.

102 وليم إيوارت جلادستون (1809 – 1898م) سياسي بريطاني تولى رئاسة حزب الأحرار (1868م) وصار رئيساً للوزارة فضلاً عن مناصب وزارية أخرى، الموسوعة الثقافية، 252.

أن نأخذه من يد المسلمين أو نقطع صلتهم به"[103].

فهم النورسي الرسالة والاستراتيجية الغربية على لسان رئيس وزراء بريطانيا العظمى..!! والتي حددت الطريق العسكري والثقافي سبيلاً للاستيلاء على بلاد المسلمين، وسارت السياسة الغربية بالاتجاهين الهيمنة العسكرية ولكن تسبقها الهجمة الثقافية وذلك بتسريب شتى الأفكار التي يمكن أن تفسد عقائد المسلمين وأفكارهم وتوجهاتهم للإصلاح.

ردّ التحدي:

وكان رد الفعل الموزون لدى النورسي قولته المشهورة: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".

وكانت منهجيته لمواجهة التحدي كالآتي:

أولاً - المواجهة بالرجوع إلى القرآن فهو القول الفصل:

فألّف كتاب إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، في بيان إعجاز القرآن الكريم، لأنه المعجزة التي تواجه الباطل في كل

---

103 انظر، أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة شركة (التسل) للطباعة استانبول 1416هـ 1995م ط1 : 26، وانظر Par Maryam Jamilah, "Bediuzzaman Said Nursi, Le Sauveurde Islam on Turquie, p. 15.

زمان ومكان بما يظهر من جمال إعجازه وقد حدد النورسي ذلك بقوله[104]:

"لقد أحسّ سعيد القديم بفيض من القرآن أنه سيظهر في هذا الزمان المتأخر كفار لا يهتدون بكتاب ومنافقون من الأديان السابقة كما ظهروا في بداية الإسلام فاكتفى ببيان النكات الدقيقة من دون أن يخوض في حقيقة مسلكهم وبيان نقاط ارتكازهم تركها مجملة دون تفصيل"[105].

ثانياً – استيعاب معارف عصر:

ومن خلال دراسته لعلوم العصر والاطلاع على نظرياتها في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلوم البحتة الأخرى كالفيزياء والكيمياء والرياضيات وظف هذه العلوم لمناقشة نظرية دارون في أصل الأنواع والتي أراد المتغربون أن يجعلوها سبباً لإنكار الخالق..!! فتصدى لهم وكذلك في النظريات الأخرى في السياسة والاجتماع[106].

---

104 نفس المرجع.

105 الإمام النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان الصالحي، نشر دار الأنباء للطباعة والنشر، الرمادى، العراق (1409هـ – 1989م) ط1: 23.

106 انظر Sukran Vahide, Beduizzaman Said Nursi, Sozler Publications, Istanbul (1412H-1992), p. 33. وانظر أورخان محمد

ثالثاً – تفكيره في إنشاء جامعة إسلامية عصرية:

تجمع بين علوم الشرع والعلوم العصرية للوقوف أمام الغزو الفكري ولتخرج جيلاً جديداً من المثقفين الذين يستطيعون أن يحاوروا أبناء عصرهم ويواجهوا شبهات أعدائهم ويستنبطوا الأحكام المناسبة للحوادث المستجدة. وأن يخرج جيلاً من القادة الفكريين والعلماء المتنورين لقيادة الأمة.

وأن يكون مكانها في شرق الأناضول في كردستان على ضفاف بحيرة وان، وكان ذلك سنة 1907 وعرض المشروع على السلطان عبد الحميد الثاني من غير أنه لم يلتق به ولكنه أوصل إليه مقترحه بالنسبة للجامعة ومطالبه الأخرى الإصلاحية ولكن يبدو أن السلطان أخطأ في فهم مطالبه أو وشى به أحد إلى السلطان فأصابه الضرر، ومع ذلك فإنه كان يكن الاحترام للسلطان عبد الحميد وكان يقول: "السلطان عبد

علي، مرجع سابق: 29 – 31، 34، واستمر يحاول إنشاء الجامعة فاستجاب له السلطان وحيد الدين وتبرع له بمبلغ عشرين ألف ليره ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام المشروع، وعرض الأمر بعد ذلك سنة 1922م على مجلس النواب فوافق وتبرع بمبلغ (150) ألف ليرة ولكن العلمانيين رفضوا ذلك مدعين عدم الحاجة إلى جامعة إسلامية..!! انظر الدكتور علي القره داغي، مقدمة رسالة الإنسان والإيمان للنورسي، نشر دار الاعتصام، مصر (1403هـ – 1983م)، ط1: 29.

الحميد خليفة لستين مليوناً من المسلمين وأنا أعده ولياً من أولياء اللّه"[107].

رابعاً – دعوته إلى إنشاء مدراس في جميع أنحاء تركيا:

تعلم العلوم الإسلامية والعصرية كما طالب بإصلاح طرق التدريس والمناهج. لإحساسه بأهمية ذلك في إعداد أجيال تستطيع الوقوف أمام التحدي الثقافي الذي تمارسه الإرساليات التبشيرية، وما تنشره الكتب والنشريات من الأفكار الهدامة. وقد تنبه السلطان عبد الحميد لهذه الفكرة وقام بإنشاء المدارس في كل مكان في الدولة العثمانية وخارجها وكان ثمرة هذا الاقتراح إنشاء أول مدرسة في الصين بطلب من الداعية عبد الرشيد إبراهيم[108].

نخلص من هذا أن الإمام النورسي رأى أن الخطوة الأولى لمواجهة التحدي هو العلم الممدوح الذي يتضمن معارف العصر التي تدرس بضوابط الإسلام عقيدة وشريعة.

بديع الزمان النورسي ومواجهته للتيار القومي:

---

107 د. علي القره داغي :29 .

108 نفس المرجع السابق : 30 .

لقد أدرك الإمام النورسي من خلال الظواهر التي بدأت في الساحة التركية أن التوجه هو التركيز على الطورانية كما أسلفنا وادعاء وأن الجنس والعنصر عندما يحكم نفسه بعيداً عن الأجناس الأخرى فإنه يستطيع أن يطور نفسه وبلده فلذلك نبه على هذه الآفة بقوله:

"وشأن العنصرية هو الاعتداء إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى"[109]، وأنّ هذا أدى إلى حروب سببت مصائب للبشرية، وبيّن أن حضارة القرآن تجعل وحدة الدين والوطن بدل الرابطة العنصرية، ونتيجة لذلك تنمو الأخوة الإسلامية بين الناس، فلذلك كانت أهم رسائله (الأخوة).

وعلى ضوء الاستعراض الذي أوردناه في المباحث الثلاث السابقة المتعلقة بالاتجاهات القومية الثلاث الكبرى الأتراك - العرب – الأكراد يتبين لنا مدى تعقيد المشكلة التي دفعت إليها هذه القوميات الإسلامية بحيث اتحدت لتحطم كيان الخلافة وتفرقت شر ممزق عندما أرادت أن تطبق برامجها فصارت لقمة سائغة للمخططات الأوربية تلعب بها كأحجار

---

109 د. حسين جليك، بديع الزمان سعيد النورسي وفكره، الاتحاد الإسلامي، مجموعة بحوث المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي (1416هـ – 1996م، استانبول، ط1: 451، وانظر أحمد النعيمي، المصدر السابق: 81.

رقعة الشطرنج.

فلذلك أدرك كثير من المصلحين أن العلاج الناجع يبدأ ببناء الفرد مرة أخرى ولا تنفع المواجهة المجردة وقد حدد شكيب أرسلان ذلك بقوله: "تأتيني كتب كثيرة من الغرب، وجاوا، ومصر، وسورية، والعراق ونفس فلسطين مقترحاً أصحابها عقد مؤتمراً إسلامي أو ... ويكون جوابي دائماً: يجب أن نؤسس من تحت، يجب أن نربي الفرد"[110].

ولذلك وجد بديع الزمان النورسي ضرورة إلى اقتحام الميدان بعد عزلته في بداية مرحلة سعيد الجديد ثم يعطي تفصيلاً يوضح فيه مفهوم القومية في ميزان الإسلام، لكي يسهل معالجة هذه العنصرية في النفوس ولا تخرج إلى مغالاة.

فيوضح أن الحس القومي "ذوق في النفس، ولذة تغفل، وغفوة مشؤومة" بمعنى آخر أنه إحساس فطري، فلذلك فلا يقال لأهل القومية دعوا القومية، وإنما اضبطوها بضوابط الشرع.

والأستاذ النورسي قد قسم القومية إلى قسمين:

---

110 انظر إحسان الصالحي، بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، استانبول، Sozler Nesriyat، 1407هـ – 1987م: 52.

1 – القومية السلبية: فقال عنها: "وهو قسم سلبي مشؤوم مضر يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه ويتصرف بحذر وهذا يولد المخاصمة والنزاع، ولهذا ورد في الحديث الشريف « أن الإسلام يجب ما قبله » ويرفض العصبية الجاهلية، وأمر القرآن الكريم بـ {إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل اللّه سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان اللّه بكل شيءٍ عليماً} (الفتح: 26) فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف يرفضان رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية. لأن الغيرة الإسلامية الإيجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها"[111].

وقد عدد الأستاذ النورسي بعضاً مما سماها بأضرار القومية السلبية في العالم الإسلامي وأوربا.

2 – القومية الإيجابية: والتي وصفها بأنها "النابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية ... هذا الفكر القومي الإيجابي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له وسوراً منيعاً، لا أن

---

111 المكتوبات: 414.

يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة ... ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية ..."[112].

وبالإضافة إلى محاولته أن يبين سلبيات الأولى وإيجابيات الثانية والتي لا تتنافى وعقيدتنا الإسلامية، فإنه فرّق بين المدنية الحاضرة والمدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية في خمسة خواص لكل منهما فقال عن جهة الوحدة في الأولى: "الرابطة الدينية والوطنية والصنفية بدلاً من العنصرية والقومية وهذه الرابطة من شأنها الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي".

ووصف رابطة المدنية الحاضرة الثانية بين الكتل البشرية بأنها: "العنصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع وشأنها التصادم الرهيب"[113].

بل إنه اعتبر من يعمل باسم "الأمة وفي سبيل القومية لأجل تقوية العنصرية" من "أهل البدع الهدامين" في إشاراته حول الآية الكريمة: {فآمنوا باللّه ورسوله النبي الأمي الذي

---

112 المكتوبات: 415 – 416.

113 المكتوبات: 607.

يؤمن باللّه وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون} (الأعراف: 158)[114].

وطُرح تساؤل عليه حول من أقوى وأولى بالالتزام؟ الحمية الدينية أم الملية القومية؟ فقال لمن سأله وكان ممن تعلم العلوم الحديثة:

"نحن معاشر المسلمين، الدين والملية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف اعتباري، أي ظاهري عرضي، بل الدين هو حياة الملية وروحها فإذا ما نظر إليهما بأنهما مختلفان ومتباينان فإن الحمية الدينية تشمل العوام والخواص بينما الحمية الملية تنحصر في واحد بالمائة من الناس ممن يضحي بمنفعته الشخصية لأجل الأمة وعليه فلا بد أن تكون الحمية الدينية أساساً في الحقوق العامة، وتكون الملية خادمة منقادة لها وسائدة حصينة لها ... فنحن الشرقيين لا نشبه الغربيين، إذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني، فإن بعث الأنبياء في الشرق يشير به القدر الإلهي إلى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه إلى الرقي والتقدم ..."[115].

---

114 المكتوبات: 566.

115 بديع الزمان سعيد النورسي الخطبة الشامية ترجمة و تحقيق إحسان قاسم الصالحي- سوزلر استانبول 1409هـ – 1989م : 77.

وهكذا لم يستطع الإمام النورسي أن يقف مكتوف الأيدي فخرج من شخصيته (سعيد الجديد) المعتزل المتأمل إلى شخصية (سعيد القديم) أي الناصح الناقد للأمور السياسية والاجتماعية ليكتب بحثاً مفصلاً عن القومية، فقال: "اضطررت إلى كتابة هذا المبحث بنية خدمة القرآن العظيم وعلى أمل إنشاء سد أمام الهجمات الظالمة"[116].

الإمام النورسي في مواجهة تحديات الاتحاديين:

جاءت جمعية الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم بانقلاب سلمي سنة (1908م) وهو ما سمي بالمشروطية، وكان النورسي في مدينة سلانيك في هذا الوقت والتقى ببعض قادة الاتحاد والترقي ومنهم (قره صو) اليهودي الماسوني المشهور وحاول (قره صو) ضم النورسي إلى جمعية الاتحاد والترقي ولكنه فشل في ذلك بل قال: "كاد أن يجعلني مسلماً..!!"[117].

وعندما أعلن الدستور (المشروطية) وقف النورسي خطيباً في سلانيك يؤيد ذلك لإيمانه بالحرية والشورى[118].

وبدأت ظواهر الفساد تدب وتبرز إلى السطح بعد أن

---

116 المكتوبات: 413 – 414.

117 أورخان محمد علي: مرجع سابق: 38.

118 نفس المرجع: 37.

خدعت كثيراً من المفكرين بكلام معسول عن الاستبداد والحرية والمساواة والإخاء..!! وبدأ سيل الصحف يمارس دوراً جديداً للترويج للعلمانية والأفكار الغربية وتجاوز الأمر إلى ظهور المقالات والكتب الإلحادية لأن الميدان قد خلا بعد السلطان عبد الحميد للمفتونين بالحضارة الغربية ومن الصحف التي شاعت (الفلسفة) (الذكاء) (البيانو)[119].

ولذلك بادر النورسي إلى الانضمام إلى جمعية (الاتحاد المحمدي) التي أسسها بعض أهل الغيرة من وجوه المجتمع لمواجهة الأفكار الجديدة التي بدأت تدندن حول القومية التركية وتجعلها المنطلق وتروج للطورانية[120] كما بينا في المبحث الخاص بالقومية التركية.

وحضر الإمام النورسي اجتماع الافتتاح وألقى خطبة حث فيها على التمسك بالإسلام وتكلم بالقضايا المهمة[121]، "وفي هذه الصفحة يبدأ كفاح بديع الزمان في خط الاتحاد الإسلامي"[122].

---

119 نفس المرجع: 38.

120 نفس المرجع: 40.

121 نفس المرجع السابق.

122 د. حسين جليك، مرجع سابق: 538.

وقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي أن تغريه لقبول عضويتها وكان مصطفى كمال أتاتورك هو الذي دعاه لذلك ولكنه أجاب بقوله: "إنني أريد أن أجاهد في أخطر الأمكنة وليس من وراء الخنادق وأنا أرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول".

وأول احتكاك مع الانقلابيين كان عند وصوله إلى مجلس النواب سنة (1922م) فوجد أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة فصرخ صرخته:

"يا أيها المبعوثون إنكم مبعوثون ليوم عظيم" وغضب مصطفى كمال لذلك فقال: إننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهدكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس..!!

فأجابه بديع الزمان مشيراً إليه بإصبعه في حدة:

"باشا .. باشا .. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود"[123].

وابتدأت بعد ذلك التعويقات والسجون والمحاكمات مما

---

123 إحسان الصالحي، مرجع سابق: 52 – 53.

ألجأه ذلك إلى أن يختط منهجية في الدعوة أسماها بمرحلة (سعيد الجديد) وكانت هذه سنة (1926م) حيث أدرك أن أي مواجهة لا تنفع وأن قضاء اللّه واقع والعاصفة قوية والتحدي هو تحدّ حضاري حضارة فتية علمانية المنهج متنوعة الوسائل متحدة القوى اتبعت خططاً متنوعة للإجهاز على الدولة العثمانية حتى أرهقتها على الرغم من محاولات السلطان عبد الحميد على الوقوف في وجه هذه الحضارة الغازية ولكن الداء قد بلغ منتهاه فالعلمانيون روجوا لأفكارهم ليل نهار وتمدهم قوى الكفر كلها بالمال والأفكار والرجال.

فالحكمة إذاً أن يبدأ من أول خطوة وهي إصلاح الفرد فبدأ بالخلوة لنفسه للتفكر للوصول إلى الخطة الأوثق والاجتهاد الذي يناسب المرحلة، ووجه الأستاذ النورسي جهده إلى الدعوة إلى الأخوة ونبذ الفرقة فوجه خطابه إلى جميع القوميات.

خطابه إلى القوميين الأتراك:

وجه خطابه للقوميين الأتراك محذراً من الانحراف في الفهم الذي يؤدي إلى النظر إلى القوميات الأخرى نظر العدو للعدو لا نظر الأخ المسلم لأخيه المسلم.

فيقول: "يا أبناء الوطن من أهل القرآن" فهو يفجر فيهم

حقيقة الانتماء ويحذرهم دسائس الشيطان فيقول:

إن بعض الملحدين الذين يشغلون مناصب مهمة يشنون هجوماً ... إذ يقولون أنتم أتراك وفي الأتراك أصناف العلماء .. وإنما سعيداً هذا كردي فالتعاون مع من ليس من قوميتكم ينافي القومية"[124].

وحث على الأخوة الكردية التركية بقوله: "الأتراك هم عقلنا ونحن قوتهم" وأن الحياة الاجتماعية للأكراد مرتبطة بحياة وسعادة الأتراك[125].

وقوله: "يا أيها الأخ التركي احذر وانتبه!! أنت بالذات فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذاً وانتهى أمرك ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجلت في سجل الإسلام وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى من الوجود قطعاً فلا تمحها أنت من قلبك!؟"[126].

وينقل حسه ككردي بكل إخلاص ليزيل ركام القومية عن قلب أخيه التركي فيقول: "قلت لأحد طلابي الأكراد الغيورين:

---

124 د. حسين جليك، مرجع سابق: 544.

125 نفس المرجع: 443.

126 المكتوبات: 417.

لقد خدم الأتراك الإسلام كثيراً، فكيف تراهم؟ قال: إني أفضل تركياً مسلماً على شقيقي الفاسق".

وعندما سألته بعد سنين حين درس في استانبول ولمس العنصرية التركية وسأل نفس السؤال فقال: إنني أفضل الآن كردياً فاسقاً ... على تركي صالح..!!

ولذلك كان الأستاذ النورسي يكرر كلامه في نصح الأتراك لأنهم أهل الشوكة ولا زالت الدولة العثمانية تحت إدارتهم مع وجود السلطان وإن كان بصورة رمزية ويحذرهم من الملحدين الذين يتحركون باسم القومية من اليهود والماسون فيقول: "أقول لأولئك الملحدين .. المتسترين تحت ستار التركية وهم في الحقيقة أعداء الأمة التركية أقول لهم: إنني على علاقة وثيقة جداً بمؤمني هذا الوطن الذين يسمون بالأتراك المرتبطين ارتباطاً قوياً، وبأخوة صادقة أبدية حقيقية باسم الإسلام لأبناء هذا الوطن الذين رفعوا راية القرآن خفاقة عزيزة في ربوع العالم أجمع زهاء ألف عام، أما أنت أيها المخادع المدعي فليس لك إلا أخوة مجازية غير حقيقية ومؤقتة مبنية على العنصرية والأغراض الشخصية"[127].

وقد تخلى الأستاذ النورسي عن لقبه (الكردي) الذي كان

---

127 د. حسين جليك، مرجع سابق: 545.

يستخدمه كي لا يؤدي ذلك إلى الاستغلال العنصري فترك لقب (كردي) واتخذ لقب (نورسي) نسبة إلى قريته ومسقط رأسه.

ولذلك عندما جاءه مندوب الشيخ سعيد بيران يدعوه للمشاركة في الثورة ضد سياسة مصطفى كمال أتاتورك العنصرية ولإعادة الخلافة قال له الأستاذ النورسي في حواره:

قال الأستاذ النورسي: ومن ستحارب؟

حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

سعيد النورسي: ومن هم جنود مصطفى كمال؟

حسين باشا: إنهم جنود!

سعيد النورسي: إن جنوده أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤك وأقربائي فمن نقتل؟ ومن سيقتلون؟ فكر .. وافهم. إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه.

هكذا يخاطب سعيد النورسي الكردي حسين باشا الكردي عن الأتراك، فأي صفاء هذا[128].

ثم كان يحاول أن يخرج بهم إلى الأخوة العالمية الفسيحة

---

128 إحسان الصالحي، مرجع سابق: 571، وأورخان محمد علي، مرجع سابق: 79 – 81.

بقوله "أيها النواب السائلون: إن في الشرق حوالي خمسة ملايين من الأكراد وحوالي مائة مليون من الإيرانيين والهنود وسبعين مليوناً من العرب وأربعين مليوناً من القفقاس فهؤلاء جميعاً تربطهم الأخوة وحسن الجوار وحاجة بعضهم إلى بعض"[129].

وينحو منحى الموضوعية والنقاش العلمي في عرض قضية القومية، فيقول:

"لا يقاس الدين الإسلامي بالنصرانية إذ أن تقليد الأوربيين في إهمالهم دينهم تقليداً أعمى خطأ جسيم.

لأن الأوربيين متمسكون بدينهم أولاً، والشاهد على هذا في المقدمة (ولسن توماس) – رئيس الولايات المتحدة – (ولويد جورج) – سياسي بريطاني كان وزيراً للخارجية -[130] وغيرهم.

إنه عندما كانت أوربا متمسكة بدينها لم تكن متحضرة وعندما تركت التزام دينها تحضرت!!!

وعانت أوربا من استغلال الحكام المستبدين للدين وسيلة

---

129 د. حسين جليك، مرجع سابق: 543.

130 المكتوبات: 418.

لسحق العوام والفقراء.

أما في الإسلام فلم يصبح الدين سبباً للنزاع الداخلي إلا مرة واحدة، وقد ترقى المسلمين – بالنسبة لذلك الوقت – رقياً عظيماً ما ملكوا الدين واعتصموا به.

ثم إن الإسلام حامي الفقراء والعوام من الناس.

وإن الإسلام يحمي أهل العلم ويستشهد العقل والعلم ويوقظهما في النفوس.

إن أساس الإسلام التوحيد الخالص فلا وسائط. أما في النصرانية فإن فكرة البنوة تعطي أهمية للوسائط"[131].

خطاب الشيخ النورسي للأكراد:

وكان الشيخ بديع الزمان النورسي الكردي يحس بمشاعر قومه وحاجتهم إلى العناية من ناحية التعليم والثقافة فلذلك قدم مطالبه للسلطان لتطوير شرق الأناضول.

فضلاً عن تقديمه النصح لقومه وكان يرى ابتداءً أن الحركة القومية عامة من صنع الأوربيين واليهود فكان الأستاذ النورسي حازماً في هذا الأمر لا يساوم فيه حتى مع الأكراد ورد على أحد المشايخ اسمه عمر أفندي حول الحركة الكردية

---

131 المكتوبات: 419.

بقوله: "إن مثل هذه الحركة وهذا التصرف مخالف للشريعة، وأغلب الظن أن مصدرها ومثيرها الأصابع الخارجية لا يمكن جعل المطالبة بالشريعة آلة وذريعة لمخالفة الشريعة نفسها"[132].

وقال لمجموعة من الشيوخ الأكراد من مدينة وان: "هل جئتم بأفكار سلبية مرة أخرى؟ إن الأمة التركية تزعمت الإسلام على أحسن ما يرام وتتزعم هذه الأمة الإسلام بعد الآن فتخلوا عن تلك الحركات السيئة"[133].

ثم وصلت رسالة من الشيخ سعيد بيران نفسه يدعوه للاشتراك في الثورة فرد عليه في رسالة بقوله:

"نحن مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقتل أخاه فهذا لا يجوز شرعاً، إن السيف لا يشهر إلا بوجه الأعداء الخارجين فلا يستعمل السيف في الداخل، إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص – فبين له منهجه في التغيير – في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدائنا لذا أرى أن تصرفوا النظر عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق إذ

---

132 أحمد النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: 80.

133 نفس المرجع والصفحة.

سيهلك[134] الآلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة والمجرمين ..." ويقصد بهم الاتحاديين.

وكانت هذه نظريته في التغيير كما ذكرنا سابقاً، ولم ينج الأستاذ بديع الزمان مع نصحه لسعيد بيران من المساءلة واستغل الكماليون ذلك وأودعوه السجن بسبب الرسائل المتبادلة بين الشيخين ومع أنه كان ناصحاً للشيخ سعيد بأن لا يستخدم السلاح.

وحاول أهل مدينة (وان) حمايته ولكن رفض ذلك وقال: "إنني أذهب بكامل رغبتي إلى الأحضان الرحيمة للأمة التركية في الأناضول .. أتمنى لكم السلامة والعافية"[135].

هكذا كان يربي طلابه ويوجه الأكراد ويحاول أن ينتشل جرثومة القومية التي سرت في نفوس الأتراك .

ولكن القوميون قد ألحّوا وركبوا سبيل الشيطان كما ذكرنا إذ اتفقوا مع الأرمن ضد الأتراك وكل ذلك بسبب عوج الفهم والخلل في الولاء لهذا الدين.

خطاب الإمام النورسي للعرب:

---

134 أورخان محمد علي، مرجع سابق: 114.

135 أورخان محمد علي، مرجع سابق: 120.

وقد كان للعرب حظ ومكان في قلب الأستاذ النورسي[136] وأرضهم مهد الإسلام، ومنها انطلق نوره إلى بقاع الأرض، لذلك قام برحلة خاصة إلى بلاد الشام في شتاء (1327هـ – 1911م)، أحد أبرز منابع القومية العربية، وألقى خطبة باللغة العربية في (الجامع الأموي) في دمشق تحت إلحاح العلماء وإصرارهم واستمع إلى الخطبة جمع غفير من الناس فيهم مئات من العلماء.

وقد قال موجهاً كلامه للعرب:

"فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي إنني ما صعدت هذا المنبر ... لأرشدكم فشأننا معكم شأن الصبيان مع الكبار فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام"[137].

"وإنما حازت جميع قبائل الإسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعاً من السعادة الدنيوية بتسليمهم الأمر إلى اللّه والرضى بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث بدل الرهبة والهلع لها"[138].

---

136 النورسي، الخطبة الشامية: 29.

137 المصدر السابق: 32.

138 المصدر السابق: 82.

وقال مذكراً إخوانه العرب بمسؤولياتهم وواجباتهم اتجاه إخوانهم الترك والقوميات الأخرى، قائلاً لهم: "لا يذهب بكم الظن أنني صعدت هذا المنبر لأرشدكم وأنصحكم بل ما صعدته إلا لأذكر حقنا عليكم وأطالبكم به إذ أن مصالح الطوائف الصغيرة[139] وسعادتها الدنيوية والأخروية ترتبط بأمثالكم من الطوائف الكبيرة العظيمة والحكام والأساتذة من العرب والترك فإن تكاسلتم وتخاذلتم يضران بإخوانكم من الطوائف الصغيرة من أمثالنا أيما ضرر"[140].

"إنني أوجه كلامي هذا بوجه خاص إليكم يا معشر العرب العظماء الأماجد ويا من أخذتم من التيقظ حظاً أو ستستيقظون تيقظاً في المستقبل لأنكم أساتذتنا وأساتذة جميع الطوائف الإسلامية وأئمتها"[141].

"يا إخواني الذين يضمهم هذا الجامع الأموي ويا إخواني في جامع العالم الإسلامي! اعتبروا أنتم أيضاً وقيموا الأمور في ضوء الأحداث الجسام التي مرت خلال السنوات الخمس والأربعين الماضية، كونوا راشدين يا من يعدّون أنفسهم من

139 الطوائف الصغيرة: القوميات الصغيرة.

140 النورسي، الخطبة الشامية: 69.

141 المصدر السابق نفسه.

أولي الفكر والعلم"[142].

وفي ظل ما كان يعانيه العالم الإسلامي من صراعات بما فيهم من الشعوب العربية والتركية انتبه الإمام النورسي إلى خطورة اليأس الذي سرى في نفوس من عايش سياسة الاتحاديين في بلاد الشام، وتدهور الأوضاع في العالم الإسلامي بشكل عام فقال لمن يعد للأمل محلٌ في قلبه: "إن اليأس داء قاتل وقد دب في صميم قلب العالم الإسلامي، فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى كالأموات حتى تمكنت دول غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها"[143].

"إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان وهو المانع عن بلوغ الكمالات".

ثم يدعوهم لمحاربة هذا الداء والقضاء عليه فليس هو من صفاتهم وخصائصهم الحميدة التي اتصفوا بها: "وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم وليس هو من شأن الشهامة الإسلامية قط، وليس هو من شأن العرب الممتازين

---

142 المصدر السابق : 38.

143 نفس المصدر و الصفحة .

بسجايا حميدة هي مفخرة البشرية، فلقد تعلم العالم الإسلامي من ثبات العرب وصمودهم الدروس والعبر".

ثم يضع أمل الشعوب الإسلامية في اتحاد العرب والترك من أجل رفع راية الإسلام فيذكرهم: "وأملنا باللّه عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم إن شاء اللّه".

وبعد أن نقل شهادات الفلاسفة والمفكرين والسياسيين الغربيين بعظمة هذا الدين وعظمة رسوله ρ والقرآن العظيم باعتبار (الفضل بما شهدت به الأعداء) قال: "أقول وبكل اطمئنان واقتناع إن أوربا وأمريكا حبالى بالإسلام وستلدن يوماً ما دولة إسلامية كما حَبِلت الدولة العثمانية بأوربا وولدت دولة أوربية"[144].

"أيها الأخوة في الجامع الأموي: إن الإسلام وحده سيكون حاكماً قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وإن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية"[145].

وكان قد استشرف منذ وقت مبكر في بداية ظهور

---

144 المصدر السابق، : 45.

145 المصدر السابق نفسه.

الصحوة الإسلامية بعد ظهور النزعات القومية والانفصالية وغيرها في الدولة العثمانية فقال مخاطباً العرب وأعلن بيقين أن المستقبل سيكون للإسلام ولن يكون لغيره من دعاة الفكر القومي والعلماني.

"يسرني أن أزفّ إليكم البشرى يا معشر المسلمين بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق الشمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين ولا سيما سعادة العرب الذين يتوقف تقدم العالم الإسلامي ورقيّه على تيقظهم وانتباههم"[146].

"فإنني أعلن بقوة وجزم بحيث أسمع الدنيا كلها وأنف اليأس القنوط راغم أن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان، لذا فعلينا الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله، إذ لنا مستقبل زاهر وللأجانب ماض مشوش مختلط"[147].

ثم ينبه العرب بقوله : "وها قد أخذت الحجب التي كانت تكسف شمس الإسلام تنزاح وتنقشع، وأخذت تلك المواضع بالانكماش والانسحاب، ولقد بدأت تباشير ذلك الفجر منذ

---

146 المصدر السابق : 31 – 32.

147 المصدر السابق: 32.

خمس وأربعين سنة"[148].

"وها قد بزغ فجرها الصادق سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية أو هو على وشك البزوغ وحتى إن كان هذا الفجر فجراً كاذباً فسيطلع الفجر الصادق بعد ثلاثين أو أربعين عاماً إن شاء اللّه"[149]

---

148 المصدر السابق : 32.

149 المصدر السابق نفسه.

الخاتمة وحصاد البحث

تبين من خلال البحث أن الدولة العثمانية كانت تواجه تحدٍ خارجي وداخلي في أواخر القرن التاسع عشر، خارجي يتمثل بالمخططات الأوربية التي كانت في أوج فتوتها تحاول إسقاط الخلافة العثمانية، ومن ثمَّ تقسيم تركتها، وأعدّت لذلك عشرات المخططات حتى بلغت مائة مخطط ومن خلال هذه المخططات تسللت إلى مجتمع الدولة العثمانية، وتوسلت بجميع الوسائل التي تكفّل لها تفتيت كيان هذه الدولة العظيمة التي تحكم قلب العالم فضلاً عن ترامي أطرافها.

ورأى مخططو الدول الأوربية أن أفضل طريقة للتفتيت هي إثارة النعرات القومية، وإشاعة الأفكار العلمانية التي تعمل على إضعاف الوازع الإسلامي، بل التشكك في عقائده ونظمه، ليكون بالإمكان إحلال الأفكار الجديدة محل المفاهيم الإسلامية.

ودخلت لتنفيذ مخططها هذا مدخلاً في ظاهره الرحمة وفي باطنه من قِبَلِهِ العذاب، فبدأت ترفع شعارات الإصلاح ومحاربة الاستبداد، وتطالب بالتحديث والمناداة بالدستور..!!

وبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1909م) ومجيء الاتحاد والترقي بدأت الدعوة إلى القومية تطفو على السطح

وكذلك اشتد نشاط النصارى في الشام وغيرها والشريف حسين في مكة بالمناداة بالقومية والثورة العربية.

وقد رصد البحث هذه الظاهرة وأسبابها الخارجية والداخلية، وتجلية دور الإمام النورسي في فهم هذه الظاهرة وموقفه منها.

ومن أهم نتائج البحث:

1 – بيان دور الدول الأوربية في إشاعة الثقافة العلمانية وتشجيع الدعوة إلى القومية.

2 – دور اليهود والماسونيين في إثارة جرثومة القومية السلبية كما يسميها الأستاذ النورسي.

3 – دور أهل الغيرة في مواجهة التحدي القومي بتحدٍ مخالف مبني على الأصالة الإسلامية.

4 – الكشف عن منهجية الإمام بديع الزمان النورسي في مواجهة الانحراف عن الإسلام بالمنهج القرآني وتفنيد الدعوة القومية والتأكيد على الأخوة الإسلامية.

ولعل البحث بهذا العرض قد بين بداية ظهور القوميات ومواجهة الإمام النورسي لذلك بأصالة واجتهاد مكافئ للواقع المحيط به.

وبالله التوفيق

المصادر والمراجع:

إبراهيم الداقوقي، أكراد الدولة العثمانية، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية حول الحياة الإدارية وبروز القوميات، مراجعة وتقديم د. عبد الجليل التميمي، تونس (1412هـ – 1992م)، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموروسيكية والتوثيق والمعلومات، زعفران – تونس.

إحسان الصالحي، بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، استانبول، Sozler Nesriyat، 1407هـ – 1987م.

أحمد النعيمي ، اليهود في الدولة العثمانية مؤسسة الرسالة – بيروت 1418 هـ – 1988م ط2.

أحمد النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها و مستقبلها دار البشير عمان الأردن 1413هـ- 1993م ط1.

أحمد فهد الشوابكة، الجامعة الإسلامية، مكتبة المنار الاردن عمان 1984م-1404هـ ط1.

آزاد كرمياني، محاكمة الشيخ سعيد بيران، أمام محكمة الاستقلال، مجلة آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11، 1418هـ – 1997م).

الإمام النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز،

تحقيق إحسان الصالحي، نشر دار الأنباء للطباعة والنشر، الرمادى، العراق (1409هـ – 1989م) ط1.

الأمير عائشة عثمان أوغلو، والدي عبد الحميد، نقله للعربية صالح سعداوي، دار البشر، عمان (1408هـ – 1988م) ط1.

أنور الجندي، العروبة والإسلام، نشر دار الاعتصام، القاهرة (1394هـ – 1976م)

أنور الجندي، معالم تاريخ الإسلام المعاصر، دار الاصلاح للطبع و الهشر مصر 1401هـ- 1981م.

أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد حياته و أحداث عصره دار الوثائق الكويت 1407 هـ – 1986م ط1.

أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة شركة (التسل) للطباعة استانبول 1416هـ- 1995م ط1.

ابن منظور، لسان العرب، نشر دار المعارف بمصر.

ارنست، أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908م، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1960م.

أمين سعيد، الثورة العربية ومأساة الشريف حسين، دار

الكاتب العربي، لبنان (بدون تاريخ).

باول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة د. محمد شامه، نشر مكتبة وهبة بمصر، (1391هـ – 1971م)، ط1.

بديع الزمان سعيد النورسي الخطبة الشامية ترجمة و تحقيق إحسان قاسم الصالحي- سوزلر استانبول 1409هـ – 1989م.

جان داية، الإمام الكواكبي، فصل الدين عن الدولة، دار سوراقيا للنشر، المملكة المتحدة (1408هـ – 1988م)، ط1.

جليلي، نهضة الأكراد الثقافية، بيروت (1406هـ – 1986م).

جمال رشيد أحمد ود. فوزي رشيد، تاريخ الكرد القديم جامعة صلاح الدين أربيل – العراق 1990م 1411هـ ط1.

جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي، نشر دار أم القرى، الأردن (1409هـ – 1989م).

جورج أنطونيوس، يقظة العرب، حركة العرب القومية، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس، نشر دار العلم للملايين، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بيروت – نيويورك (1382هـ – 1962م).

حسين جليك، بديع الزمان سعيد النورسي وفكره، الاتحاد

الإسلامي، مجموعة بحوث المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي (1416هـ – 1996م، استانبول، ط1.

خالقين ن. خه بات له رتى كوردستان، الترجمة الكردية من الروسية، 1971م.

زبير بلال إسماعيل، علماء ومدارس في أربيل، مطبعة الزهراء، الموصل، العراق (1404هـ – 1984م).

زنار سلوبي، في سبيل كردستان، بيروت (1407هـ – 1987م).

ساطع الحصري، محاضرات في نشوء القومية، دار العلم للملايين، بيروت (1375هـ – 1956م)، ط1.

سعد أبو مصطفى، جعل الأمة الإسلامية بواقع الأكراد، مجلة آلاي إسلام، السنة 2، العدد 1.

السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت (1406هـ 1986م)، ط5

سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة خلال القرن السادس الهجري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق (1409هـ – 1988م).

سيامند عثمان، ملاحظات تاريخية حول نشأة الفكر القومي،

دراسات كردية، D.I.I، 1414هـ – 1984م.

شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية المؤسسة العربية للدراسات و النشر بغداد 1409هـ – 1989م ط2.

صموئيل اتينجر (محرراً) ، اليهود في البلدان الإسلامية ترجمة الدكتور جمال الرفاعي مراجعة دكتور رشاد الشامي سلسة عالم المعرفة 197 - الكويت 1411 هـ – 1990م.

عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها – مكتبة الانجلو مصرية – القاهرة 1982م ط1

عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3 (1416هـ 1995م) ماليزيا.

عثمان علي، إشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد، مجلة آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11، (1418هـ – 1997م).

عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة التاسعة، (1416هـ – 1995م).

عثمان علي، الإشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد، مجلة آلاي إسلام، العدد 4، السنة 11، (1418هـ – 1998م).

عثمان علي، اللقاء تاريخي فريد مع الشيخ عبيد اللّه

النهري، وثيقة مترجمة من القنصل الإنجليزي في تبريز بإيران إلى وزارة الخارجية بلندن في 1881/10/1م رقم الوثيقة (23) سري للغاية، وزارة الخارجية رقم الملف (60/442)، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة 9.

عثمان علي، حركة الشيخ سعيد ثورة شرعية أم دولة كردية، آلاي إسلام، العدد 3، السنة 11، 1418هـ – 1997م.

عثمان علي، مصطفى باشا يا ملكي في لقاء تاريخي مع سمكو ، وثيقة، رسالة من مصطفى باشا إلى ابنه عبد العزيز بيك بتاريخ 1921/12/12م، ورقم الوثيقة: 5371/7781، مجلة آلاي إسلام، العدد 2، السنة 10.

علي القره داغي، مقدمة رسالة الإنسان والإيمان للنورسي، نشر دار الاعتصام، مصر (1403هـ – 1983م)، ط1.

على حسون، العثمانيون والروس، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.

الفيكونت فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية، نشر المطبعة الأدبية بيروت، الأجزاء (1 – 3)، 1913، ونشر المطبعة الأمريكانية ببيروت، الجزء الرابع (1914م)، وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ): 4/هـ

كمال مظهر، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، دكتور كامرس قفتان، جه ندلينه وه يه ك له ميزوى، بابان، سورات، بوتان، بغداد 1982.

الكواكبي، أم القرى دار الرائد العربي –بيروت 1402هـ 1982م ط2.

لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرمسون، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليبوعيين ، بيروت (1337هـ – 1910م).

الما ولتن، عبد الحميد ظل اللّه في الأرض، ترجمة راشد رشيدي، القاهرة (1950).

مجدي عبد المجيد الصافوري – سقوط الدولة العثمانية و أثرة على الدعوة الإسلامية – دار الصحوة للنشر مصر 1410 هـ –1990 م ط1.

مجلة آلاي إسلام، العدد 2، 3، السنة التاسعة، جمادى الآخرة (1415هـ) نوفمبر (1995م) ماليزيا.

مجموعة مؤلفين أعلام الصحافة في الوطن العربي إصدار المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم تونس 1977م المجلد الأول.

محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العلماني، مكتبة صادر، بيروت (1314هـ – 1925م).

محمد حرب عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد دار القلم دمشق 1991 م ط3.

فتحي أوقيار، رجل في ثلاثة عهود، استانبول (1400هـ – 1980م)، ط1.

محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلمية العثمانية، تحقيق إحسان حقي نشر دار النفائس، بيروت (1403هـ – 1983م)، ط2

محمد محمود الروجي، مصر والمسألة الشرقية، الإسكندرية، مصر، 1966م.

محمود الشاذلي، المسألة الشرقية- دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية نشر مكتبة وهبة، مصر 1409هـ – 1989م ط 2.

مصطفى صبري، الاسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، تحقيق ودراسة د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية (1405هـ – 1985م)، ط1.

مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني ترجمة كمال خوجة- نشر دار الإسلام 1397هـ- 1977م (بدون مكان).

مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، ألمانيا الغربية (1404هـ – 1984م).

منذر الموصلي، الحياة السياسية والحزبية في كوردستان شركة رياض الريس للكتب و النشر العراق 1411هـ – 1990 ط1.

الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك (1392هـ – 1972م) إشراف الدكتور حسين سعيد.

الموسوعة الصحفية العربية، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس (1420هـ – 1997م).

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض (1409هـ – 1989م)، ط2.

موفق نبي المرجه: صحوة الرجل المريض، دار البيارق، بيروت، 1996، ط8.

نديم هزار، المدارس التنصيرية، مركز البلقان للدراسات والأبحاث العلمية، استانبول (1415هـ – 1994م).

نزيه كباره ، عبد الرحمن الكواكبي مطبعة جروس بروس – طرابلس لبنان 1415هـ – 1994م ط1.

وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية (1395هـ – 1985م) ط2، بغداد.

وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق وقضية القومية، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (1404هـ – 1984م) ط1.

يوسف الصغير، الأكراد في عالم الاضطهاد، مجلة البيان، لندن، العدد 134.

يوسف على الثقفي، موقف أوربا من الدولة العثمانية مكتبة الملك فهد الوطنية 1417هـ – 1996م ط 1.

Andrew Mango, Turkey, Thames and Huom, 11d, London, 1968, p. 53

Cevdet Ergul, Abdul Hamidin Dogu Politikasi ve Hamidiye Alaylari, Izmir, (1997-1417).

Daid McDowall, A Modern History of the Kurds

Hee Soo Lee, Islam Ve Turk Kulturunun, Uzak Doguya Yaylimasi, 1988.

Kamran Badr Khan, The Kurdish Problem, Royal Central Asian Studies, 36.

Kidourie Elie, Young Turkes, Free Masons

and Jew

Nikkie R. Keddie, An Islamic Response to Imperialism, University of California Press, Berkeley, Los Angeles & London, 1983.

Osmanli Ittihad ve Terkki Cemiyeti ve Jon Turkluk, (1889-1902), Iletisim Yayinlari, Istanbul- 1985.

Par Maryam Jamilah, “Bediuzzaman Said Nursi, Le Sauveurde Islam on Turquie.

Sukran Vahide, Beduizzaman Said Nursi, Sozler Publications, Istanbul (1412H-1992)

The Kurdish Nationalist Movement, Syracuse, 1967.

Wadi Jwaidda, The Kurdish Nationalist Movement, Syracuse, 1967.